بعد الكارثة

الآن ... وقد وصلت حالة العرب الى ما وصلت اليه من اخفاق في الحرب وخذلان في دوائر هيأة الامم المتحدة ومن ضياع لهيبتهم وجرح لكبريائهم وامتهان لكرامتهم من الكارثة التي حلت بهم في فلسطين، اصبح فرضاً محتوماً على المسؤولين ان يدرسوا عوامل هذه الكارثة والاساليب التي اتبعها العرب وادت الى الخسران المبين في ميادين الحرب والسياسة لينتهجوا نهجاً جديدا ويسيروا في كفاحهم على اسس جديدة من تجنب للاخطاء التي وقعت وتغيير للاساليب التي اتبعت وادخال العلم في سائر مرافق الحياة والعناية بالدفاع وشؤونه .

لقد ابانت الكارثة ان الاساليب التي سار عليها العرب في جهادهم ارتجالية ينقصها العلم والرقم ويعوزهـا التنظيم والهدف فكانت الهزيمة التي مُني بها العرب اجمعين في السياسة والحرب . وهي نتيجة حتمية لتلك الاساليب . وليس غريباً ان تكون النتيجة هزيمة وانكساراً ، بل الغريب ان لا تكون كذلك. ذلك لان العرب لم يكونوا يملكون من ادوات النصر شيئاً بل في واقع الامر كانت اسباب الكارثة مهيأة عندهم ولديهم ادواتها من جهل وغرور وفوضى وارتجال.

والعرب .. الآن .. وقد بدأت سحب الذهول التي خيمت عليهم تزول والضغط الذي ران على عقولهم وقلوبهم يضمحل ويتلاشى – اصبحوا يفكرون في نقطة الابتداء وكيف تكون ، وفي اي اتجاه يجب ان نتحرك ؟ .

وفي رأيي ان تكون نقطة الابتداء ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العلمي والعقلي وفي الآخر الاعداد المعنوي والنفسي.

اما الاعداد العقلي فيقوم على بعث النزعات الارتقائية والشهوات التطورية والايمان بالاسلوب العلمي والرقم واذاعة الثقافة الصناعية والزراعية لينشأ جيل يؤمن بالتقدم والنمو وبرسالته في الحياة وقابلياته في الانتاج والابداع ويعرف كيف يستغل تربة بلاده وما في بطونها من كنوز وخيرات .

ان اولى واجبات الدول العربية ان توجه جل اهتمامها وجهودها الى العلم ونشر التعليم والروح العلمية فخلاصها يقوم على ذلك. ولن يشاد كيانها في هذا العالم المتحرك الا اذا اتبعت اسلوبه وتشبعت بروحه واذاعت رسالته .

وعلى الدول ان تعنى بالبحث العلمي وتشجيع الدراسات العلمية وانشاء مجلس اعلى للابحاث العلمية . وعلى المسؤولين ان يمدوه بالاموال وان يسهلوا له الحصول على ما يحتاجه من ادوات وآلات فهو الذي يمهد الطريق لاستغلال امكانيات البلاد وهو الذي يوجه الصناعة التوجيه العلمي المثمر ويرشد الى انتخاب افضل الوسائل لاستخدام القوى الطبيعية وتسخيرها لخدمة المجموع فتنمو الثروة القومية وتزداد المواد فيعم البلاد الخيرات ويرتفع مستوى المعيشة فيها ويقضى على الفقر والجهل والمرض .

ونترك الاعداد العقلي ولنلتفت الى الاعداد المعنوي والنفسي الذي اشرنا اليه في اول المقال .

على المسؤولين والهيئات في سائر الديار الاهتمام بالاعداد المعنوي والنفسي بتوجيه الامة لقبول الحرمان والتضحية بكل ما تملك في سبيل الخلاص. والامة التي ترضى بالهوان يعصف فيها والمصائب تنصب عليها ليست جديرة بالحياة بل ان مصيرها الانحلال والانهيار .

والامة التي لا تتحرك لما ينتابها من رزايا وتقف جامدة امام الاحداث وعوامل الفناء لن تقوم لها قائمة وهي تحفر قبرها لنفسها بنفسها وتمهد لزوالها من الوجود كجماعة ذات رسالة وكرامة .

والعرب .. وقد اصابهم ما اصابهم في كارثة فلسطين عليهم ان يتحركوا وان لا يقبلوا ما حل بساحتهم اذا ارادوا حياة وكيـاناً . واصبح من المحتوم على المفكرين والمثقفين ان يعملوا على تجند الامة نفسياً وعقلياً لمعركة الحياة .

لقد آن للعرب ان يدركوا ان الاستقلال والحياة الكريمة في هذا العالم لا تأتي عفواً ومن دون ثمن فلهذه مقدمات وتمهيدات تقوم على الاعداد العلمي والعقلي والاعداد المعنوي والنفسي وعلى الحرمان وعلى الايمان بحق الحياة . وهم لا يستطيعون المحافظة على كيانهم وكرامتهم الا اذا وطنوا انفسهم على الحرمان من كثير من الكماليات والاكتفاء بالضروريات . وها هم الانكليز قد اتقنوا صناعة الحرمان واعتنقوها مذهباً حين شعروا ان كيانهم الاقتصادي مهدد ، وان هذا الكيان لا يشاد الا على حساب الكماليات فكيف بنا وكياننا (كموجودات) معرض للفناء والابادة .

لهذا فمن اوجب الواجبات على المفكرين واصحاب الامر في البلاد العربية ان يستعدوا للمستقبـل وان يقوموا بحشد العقول والمواهب وتوجيهها توجيهاً سليماً مثمراً جاعلين نقطة ابتداء كفاحهم ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العقلي وفي الآخر الاعداد النفسي والحرمان . فتبذل الاموال وتوجه الجهود الى التعليم ومزج العلم واسلوبه في الحياة في سائر مرافقها والدعوة الى الحرمان والتدريب العسكري في المعاهد والمدارس وفي المدن والقرى وتجنيد الامكانيات والقابليات في سبيل الخلاص ومقاومة عوامل الفناء وتحقيق رسالة الحياة .

واخيراً اقول: ان العلم والاسلوب العلمي والحرمان والايمان بحق الحياة، هي الاركان التي يقوم عليها الخلاص والكرامة والكيان. هذا ما يجب ان يتفهمه العرب ويؤمنوا به ويعملوا على تحقيقه في سائر الديار والامصار .

قدري حافظ طوقان

نابلس

الذروة في الادب والفن

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبرج

الذروة او ما يسمى في الانكليزية Climax ، في الفن والادب، تكاد تكون من مخترعات الاوروبيين فالموسيقى والرواية والشعر والمسرحية ، كلها تبنى على قاعدة كادت تصبح من البديهيات ، وهي ان عناصر القطعة الفنية يجب ان تكون متفرقة متباعدة في اول الامر ، ثم تتقارب وبعد ذلك تصطرع ، ثم تبلغ الذروة من العنف : وعندها تنحل الازمة ، ويعقبها هبوط او سلام يؤدي الى النهاية .

والذروة في اختبار الانسان شيء مألوف ، بل امر غريزي في بعض الاحيان . والاورغزم الجنسي اوضح مثل على ذلك ، لانه ذروة العاطفة على اعنف ما تكون ، وهي ذروة تؤدي الى الاسترخاء والراحة . كما ان انفجار الغضب يمثل ذلك ايضاً ، وبخاصة اذا وقع بعد استفزاز بطيء ملح ، وهو قد ينتهي الى نتائج مزعجة ، ولكنها نتائج يتلوها دائماً الشعور بالهبوط . والذروة في الكتابة الابداعية والموسيقى هي في شبه الذروة الجنسية والذروة الانفعالية بالضبط ، ولذلك يجد المرء فيها لذة لانها ، وان تكن فنية ، انعكاس لميل متأصل في النفس .

ونحن اذا نظرنا الى مظاهر الذروة العاطفية وجدنا انها تقارب النشوة ، فيكاد يصبح المرء وهو يعانيها لا شعورياً ، وقد يتفوه بكلام لم يقصد ان يقوله . فاذا ما تخطى الذروة وهبط ، فانه لا يشعر بتراخ غريب في جسمه فحسب بل في ذهنه ايضاً ، وقد يعقب ذلك عند بعض الناس بكاء او ضحك لا يملكون في انفسهم له دفعاً .

وقد تطورت الفنون الاوروبية بأساليبها ، وكانت نهاية التطور في معظمها ان امست مبنية على شكل تصاعدي نحو العنف له ذروة نهائية هي ، كما قلت ، انعكاس للنهاية الانفعالية في الانسان . ولذلك كلما كانت اهداف التعبير اقرب الى تصوير العاطفة الفردية ، كان التركيب الفني اقرب الى شكل الذروة . غير ان العجيب هو ان هذا « التركيب الذروي » لم يوجد (الا في حالات شاذة) في الفنون العربية حتى الايام الاخيرة — حين جعل الادباء والفنانون العرب يتطلعون الى الغرب في اساليبهم .

خذ الموسيقى مثلاً : ان موسيقى المقامات الشرقية (حين تعزف بدون غناء) وموسيقى «التقاسيم» نجد لها مقابلاً في الابداع الاوربي في الموسيقى المؤلفة قبل اواسط القرن الثامن عشر . فموسيقى باخ وفيفالدي وبالسترينا مع تعقدها تبنى على قواعد فيها شبه شديد بقواعد الموسيقى الشرقية : فالقاعدة الرئيسية في كلتيهما هي التكرار والتوالي حسب « مقام » معين (Mode) . غير ان الموسيقى الاوروبية تمتاز عن الشرقية بكونها « بوليفونية » — اي متعددة الانغام في نفس الوقت ، فيكون هناك على الاقل نغمان — او ثلاثة او اربعة — يعزفان متوازيين ، حسب اصول معينة ، فتكون النتيجة انسجاماً رائعاً يكسب الموسيقى عمقاً لا تعرفه الموسيقى الشرقية ، كما انه يوجد فيها امكانيات للتعبير هي في الواقع معدومة في المقامات وغيرها من موسيقانا ، لان الاخيرة منفردة النغم ، تعزف الآلات المختلفة فيها نفس اللحن ، فتكون كالجدول الرقراق الذي يشف عن مجراه ، بينما تشعر ان موسيقى باخ ومن سبقوه كالنهر العميق يتهاوى احياناً فوق الصخور واحياناً كالبحر الزاخر . وكلما دنونا من القرن التاسع عشر اقتربت الاشكال الموسيقية من التركيب الذروي : فنجد ان الذروة تتضح شيئاً فشيئاً في موسيقى هايدن وموتسارت وفي مؤلفات بيتهوفن الباكرة ، الى ان تتخذ شكلها الثابت في موسيقى بيتهوفن الناضجة (مثلاً في السيمفونية الخامسة فما بعد ، والكونشرتو للبيانو الثالثة فما بعد) .

وهذا امر جدير بالملاحظة . ففي اواخر القرن الثامن عشر ، واثناء القرن التاسع عشر برمته ، اصبحت العاطفة الفردية الملهم الاكبر في الفن ، وانصرف المبدعون عن القوانين والقواعد التي كان الكلاسيكيون يحتمون على انفسهم طاعتها ، لكي يغدو الفن الجديد مرآة للروح الثائرة الجديدة التي اوجدتها حينئذ الظروف الاقتصادية والسياسية . فكما نادت الثورة الفرنسية بحقوق «الانسان» هكذا طالب الموسيقيون والشعراء بحقوق « النفس البشرية » : فجعلوا ابداعهم صورة عن أنفسهم وما يخالجها من اضطراب وتحد للآلهة وصراع مع الاقدار ولذلك فليس من الغريب ان يكون الهدف الجديد في البناء الموسيقي هو الذروة ، التي تمثل نهاية العنف ، وسورة الكفاح ، واحياناً غاية اليأس .

فموسيقى القرن التاسع عشر في جميع اقطار اوروبا ليست الا موسيقى الذروة ، وبدونها لا تكاد توجد . انظر – عدا بيتهوفن – موسيقى برامز الالماني (وهو في سمفونياته الاربع امهر من بنى ذروة رائعة) وبرليوز الفرنسي (وسمفونيته الفانتزية Synphonic Phantastique توضح بقصتها ما قلته سابقاً) وشوبان البولندي ، وليست المجري ، وتشايكوفسكي الروسي ، وكثيرين غيرهم .

وهذه الفترة هي في الواقع الفترة الرومـانسية : وانطلاق العواطف والتحامها ثم انتصارها اوتحطمها هي في الواقع من مبادىء الرومانسيين . ولكي يضفوا على هذه الفوضى الانفعالية شكلاً فنياً ، قالوا بوجوب فرض « وحدة » نهائية عليها – والذروة هي الرباط الذي يربط في الختام العناصر المتفرقة في وحدة فنية .

اما في الموسيقى الشرقية ، فما زالت القاعدة هي النغم الواحد والتكرار والتوالي . ولعل المرء يلاحظ ان الموسيقى التي تعزف في الملاهي – لكي ترافق راقصة ترقص على ايقاعها – تتسارع عندما تقارب النهاية كي تشتد الراقصة في حركاتها التي تومىء بصراحة فاضحه الى حركات الجماع الجنسي . ولكنها مع ذلك خـالية من الذروة الفنية من حيث التركيب الموسيقي نفسه ، لان السرعة الشديدة في الختام لا توحي بعنف او صراع عاطفي .

والموسيقى الشرقية تشيع فيها – من الناحية الفنية – نفس الروح التي نراها في القصة العربية على احسن ما نعرفها : حكايات الف ليلة وليلة . ففي هذه الحكايات ايضاً قلما نجد ما نستطيع ان نطلق عليه كلمة الذروة بالمعنى الحديث ، فالحوادث تتـلاحق دون ان تتركب الواحدة على الاخرى . اي ان الحوادث في كل قصة لا تنمو نمواً عضوياً متماسكاً ، بحيث تكون النهاية ملتقى خطوطها جميعاً . لان اهتمام القصاص (كاهتمام السامع) هو في حمل البطل من جو الى جو ، ومن مخاطرة الى مخاطرة . والهدف منها هو استعراض « المخاطر والاهوال التي تشيب من هولها الولدان » وان تكن « المخاطر والاهوال » في اكثر الاحيان ، في سبيل معشوقة . وعندما تكون كذلك ، تسبغ فكرة المعشوقة شيئاً من الوحدة النهائية – وهي وحدة ضعيفة بالطبع – على القصة ، فيكون زواج البطل مـن معشوقته في النهاية اقرب شيء الى ما قد نسميه بالذروة . ولكنها في الغالب نهاية تفرض على القصة فرضاً لكي يفرغ القصاص منها عند حد ما ، لا ذروة ادت اليها عناصر القصة المختلفة .

والرواية الاوروبية كانت في شبه حكايات الف ليلة وليلة حتى اواخر القرن الثامن عشر . فهي روايات حوادث او « مواقف » لا روايات شخصيات يبغي الكاتب عرضها في دخائلها من مشاكل نفسية . فسواء أاخذنا قصص بوكاتشيو ، او روايات فولتير (مثلاً كانديد ، وزاديغ) ، او روايات الانكليز في القرن الثامن عشر كروبنسون كروزو لديفو او طوم جونز لفيلدنغ – نجدها جميعاً ، مثل قصص الف ليلة وليلة ، تعنى « بالمخاطر والاهوال » اوالنكات الغرامية ، او العبر الحكمية : اما التركيب الذروي الشامل فلن نجده فيها الى ان ندنو من نهاية القرن الثامن عشر ، ثم نلج القرن التاسع عشر حيث نجد ان الرواية ، كالموسيقى ، تأخذ في التركيز بحوادثها ، وتصبح نفسية البطل تطغى على المواقف ، فتغدو الحوادث مركبة بحيث تشترك كلها معاً في خلق ذروة العنف في النهـاية .

فرواية القرن التاسع عشر ، كموسيقاه ، هي رواية الذروة ، وكلما تقدمنا فيه وجدنا الذروة اكثر تعقيداً واقوى . وأمثال هذه الرواية « آلام فرتر » لغويته (اواخر القرن الثـامن عشر) و « الكبرياء والتعصب » لجين اوستن الانكليزية (اوائل القرن التاسع عشر) و « مدام بوفاري » لفلوبير (١٨٥٤) – ولعلها قمة هذا التطور القصصي وأم الرواية الحديثة – و « الاخوان كرامازوف » لدوستويفسكي (اواخر القرن التاسع عشر) .

ولعل ظاهرة أهم من هذه هي ظهور « القصة القصيرة » بعقدتها الواضحة المركزة ، وذروتها السريعة ، في غضون هـذا القرن . كانت القصة القصيرة قبل ذلك اشبه بالنكتة ، امـا في القرن التاسع عشر فانها اصبحت قطعة فنية ذروية التركيب . ولاحاجة لذكر ابطالها الفرنسيين الكثيرين الى ان تبلغ شكلها الرائع على يدي غي دي موباسان .

ولكن الغريب في أمر هذا التركيب الفني الذي شاع في كل انواع التعبير عن النفس في القرن التاسع عشر ، هو انه كان موجوداً قبل ذلك بقرنين او ثلاثة على احسن ما يكون في المسرحية . ولا يغرب عن البال ان المسرحية بلغت في عهد شكسبير غاية من من الروعة الذروية قلما بلغتها في أي عصر آخر . ولم تكن الدراما في القرن الخامس عشر وما قبله الا ضرباً من سرد الحوادث بشكل تمثيلي كان الغرض منها عادة اما دينياً او أخلاقياً كما في « المسرحيات الاخلاقية Morality Plays حيث ، يسمى الاشخاص باسماء الطبائع التي يتصفون بها ، مثل : الجشع ، الحسود ، الزاني ، الصالح ، الخ . او : الصداقة ، المال ، الحب ، الموت ، وما شابه ذلك ، وعندما تطورت هذه المسرحيات غدت على الاكثر قصصاً تمثيلية تدور حول فكرة « سقوط الامراء » – وهي فكرة اخلاقية ايضاً ،

يستهدف منها ايضاح فكرة واحدة هي: « مهما علا شأن الانسان، فانه اذا اخطأ سيسقط يوماً، فليعتبر الناس بذلك ». غير ان هذه الفكرة تطورت من حيث التركيب الفني على ايدي شكسبير ومعاصريه بحيث غدت الخطيئة او النقص الخلقي في البطل مصدر المواقف المتواشجة التي تندفع فيها حركة هائلة توصل البطل الى ذروة عنيفة كذروة السمفونية في القرن التاسع عشر. وهكذا نجد ان ما يصح على الموسيقى في هذا القرن، يصح على الدراما في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر: العاطفة الفردية، اذا كانت هي الرائد الفني بحيث تصبح نفسية الفرد هدف الابداع، توجد لنفسها في التعبير شكلاً ذروياً هو انعكاس لها. ولذلك نجد ان شكسبير، خالق مكبث وهاملت ولير وعطيل، يعتبر رومانسياً كغويته وكيتس وبيتهوفن.

ولعله جدير بالذكر، ما دمنا بصدد المسرحية، ان الذروة كانت مبدأ مهماً في المأساة الاغريقية، وأرسطو في «كتاب الشعراء» ينص على قواعد لا بد منها في المأساة، كأن تكون المسرحية مبنية على « الشخصية » لا على « الحادث »، وان تحتفظ «بالوحدات الثلاث» (وحدات الزمان والمكان والموضوع)، وان يكون فيها « اول ووسط وآخر » يؤدي الواحد منها الى الآخر، بحيث تكون هناك نهاية تؤدي الى الحل. وهذه بحذافيرها هي قواعد المسرحية الاوروبية بعد عصر النهضة — اي بعد ان اطلع الكتاب على نقد ارسطو والمآسي الاغريقية، واوجدوا فناً يجمع بين الروح الاوروبية الجديدة والقواعد الفنية القديمة. ومسرحيات راسين وموليير وكنغريف وغيرهم (في القرنين السابع عشر والثامن عشر) اوضح امثلة على ذلك.

اما المسرحية العربية — فلم توجد قط (بغض النظر عن انتاجنا المعاصر). وقد حاول كتاب كثيرون ان يجدوا الاسباب لذلك، وآراؤهم مختلفة. اما انا فأرى ان احد الاسباب — ولعله السبب الاهم — لذلك هو ان الابداع العربي لم يكن ذروياً قط، ولم تقبل العبقرية العربية هذا النوع من التركيب الفني الذي، يخيل الي، امتازت به العبقرية الاوروبية فقط. فالمسرحية لا يمكن ان توجد بدون الذروة. ولما كانت هذه الذروة المسرحية في الغالب هي نهاية مكافحة البطل للآلهة او الاقدار (كما يقول الاغريق)، او المجتمع (كما نقول اليوم)، فان العبقرية العربية رفضت هذا الفن لانها عبقرية قدرية لا تسمح لنفسها بالشك فيما هو قائم، ولا سيما الشك في عدل الله.

وفي الشعر العربي كانت الذروة مجهولة — وما زالت كذلك حتى في الشعر المعاصر، الا في ما ندر. وهي مجهولة عند الشاعر والقارىء على السواء: فمن الجلي انه لو افتقدها القارىء واحس بضرورتها لظهر من الشعراء من يحاول ارضاء قرائه. ففي القصيدة العربية، يلي البيت الآخر في اكثر الاحيان حسبما اتفق، وفي استطاعة المرء ان يقدم ويؤخر في الابيات او يحذف بعضها دون ان يؤثر على المعنى — او على الغرض الذي ترمي اليه القصيدة — وذلك لان القصيدة العربية لا تبنى على « الوحدة الموضوعية » بل على « روعة المعاني » ذات القافية الواحدة. ولذلك قد تمتد القصيدة الواحدة فتكون في مئات الابيات: وما دامت هذه من بحر واحد وقافية واحدة، فهي عند الشاعر ذات وحدة ترضيه، وكل ما في الامر انها تكون من وحي ظرف خاص او مناسبة معينة. فموضوع الشاعر العربي دوماً هو الحياة بكل ما فيها، ولا يهمه ان تكون معانيه مرتبطة ومتحدة في استهدافها نهاية عليا عنيفة. ولهذا قلما نجد في الشعراء القدامى المجيدين من يكتفي ببضعة ابيات للقصيدة الواحدة يتركز فيها معنى متصل الجوانب او تتضح فيها صورة منفردة، بل ان ذلك يعد عيباً على الشاعر اذ يعيره سامعوه بقصر النفس!

غير ان الامر على العكس في الشعر الاوروبي. فاذا تأملنا في شعر « النشيد » Sonnet [1]، وهو لون من الوان النظم تشترك فيه الامم الغربية، نجد التركيب الذروي فيه جلياً بصورة مصغرة. فالشاعر في نشيده يجب ان ينتهي في البيتين الاخيرين (او على الاكثر في اربعة الابيات الاخيرة) بقوة وفصل، في حين يجعل كل الابيات السابقة تؤدي بمعانيها وايقاعها الى النهاية المحتومة في هذين البيتين. ففي كل « نشيد » اذن صورة واحدة فقط: وهي قد تكون متعددة التفاصيل والالوان، ولكنها صورة واحدة.

وهذا الضرب من البناء في الشعر الغربي اجمالا أمر خطير للغاية: فيه يعتمد البيت على ما سبقه وما يليه، والفقرة المتعددة الابيات ترتكز عليها الفقرة التي تليها بحيث يتسع المعنى ويعمق الى ان تبلغ القصيدة ذروتها العاطفية. واشد ما يخشى الشاعر هو «الهبوط» anti-climax (او « عكس الذروة ») في تركيب قصيدته، لانه حينئذ يكون قد اضاع القوة التي ينشدها والتأثير الناجم عن تلك القوة.

ولكن ليس لدى الشاعر العربي شيء يخشاه من هذا القبيل، لان شعره لا يعتمد على البناء الهرمي، بل على ما يمكننا ان نسميه بالبناء المسطح: فالشعر العربي قريب الشبه جداً بالرسم العربي:

---

(١) يكون « النشيد » دائماً في اربعة عشر بيتاً فقط، وتترتب فيه القوافي على شكل خاص. وأول من استعمل هذا الضرب من الشعر الايطاليون — وبخاصة بترارك ودانتي — ثم اخذه عنهم الانكليز والفرنسيون وغيرهم وأنشاد شكسبير مشهورة (وفيها اتبع ترتيباً للقوافي خاصاً به) وكذلك انشاد ملتون (وفيها اتبع ترتيب القوافي الايطالي)

اي فن الزخرفة . فكما نجد في القصيدة الواحدة، مهما تعددت ابياتها، روياً واحداً، وبحراً واحداً، كذلك نجد في الزخرفة العربية شكلاً واحداً يتكرر، واذ يتكرر الشكل ينتشر في جميع الاتجاهات على السواء . وجمال هذا الفن يعتمد على انتشار الشكل الواحد انتشاراً يكاد يأخذ بالبصر ولا سيا عندما توشى خطوطه بالذهب او الفضة، وتملأ بعض اجزائه بالازرق او الاصفر او غيرهما من الالوان .

واذا اتسعنا في مدلول « الفن العربي » وأدمجنا فيه الفن الاسلامي عامة — حق لنا ان ندخل في بحثنا الفن الفارسي. غير ان هذا الفن ايضاً يعتمد على التكرار الزخرفي، او على الانتشار الذي لا يستهدف عمقاً في الابعاد او حصراً في الانتباه الى نقطة واحدة تتركز فيها غاية الصورة. فالرسام الفارسي، كالشاعر العربي، انما يعشق روعة الطبيعة وخطوطها المتناثرة عشق الشاعر للمعاني، ويسعى الى ان يدخل في صورته كل ما يستطيع من الوان وخطوط ترمز الى حبه للحياة، وهذا الرسم الذي تنحني فيه الخطوط وتلتوي في كل اتجاه ليس بأقل جمالا من التصوير الاوروبي ذي الاعماق بل انه في كثير من الاحيان يفوقه جمالا .

على ان التصوير الاوروبي، منذ القرن الرابع عشر، يستخدم عنصرين لا يوجدان في الفن الاسلامي هما : التظليل chiaroscuro [1] والعمق المنظور perspective [2] ويحصل الرسام بهما على ما هو اشبه بالذروة في الكتابة والموسيقى . فالخطوط التي اذا امتدت في اتجاه واحد تلتقي في نقطة واحدة، والضوء الموجه نحو ناحية معينة ضمن الظلال، لها على العين تأثير كتأثير الاصوات او العناصر الفكرية المبنية بعضها فوق بعض لكي توصل الى نهاية ذروية، لانها تحصر الاهتمام في نقطة واحدة، وما التفاصيل الاخرى الا روافد تصب فيها. ومن الممتع ان نرى ان عنصري « التظليل » « والعمق المنظور » دخلا على الفن في اواخر القرون الوسطى — اي عندما ثار المفكرون والادباء والفنانون على التقاليد القائلة بحقارة الحياة، وحقارة الانسان في هذه الدنيا . فقد كانت خلاصة الفكر في « القرون المظلمة » ان اللذة خطيئة، وان على الانسان ان يعذب جسده من اجل خلاص نفسه، لانه لم يولد الا لكي يستعد للدار الآخرة حيث النعيم الازلي او الجحيم. فاذا تنعم في هذه الحياة فمآله في الآخرة سعير جهنم، واذا قضى على شهوات الجسد هنا، تنعم في جنان الخلد هناك . ولذلك كانت الصور ضامرة الاشكال، لا يختلف فيها جسم عن جسم او وجه عن وجه. فالوجوه واحدة، والاجسام واحدة، والاشكال محدودة، وليس فيها تركيز او حصر : انما مغزاها واحد يتكرر، وهو ان الانسان من تراب والى التراب يعود، وان ما في صدره من رغبات انما هي خطايا يجب ان يصوم ويصلي لكي يتخلص من ادرانها، وان شخصيته (التي تميزه عن غيره) يجب ان تمحى، لئلا يكون فيها ما يغريه على مقاومة الله (انظر مثلاً صور العصر البيزنطي) .

ولكن النهضة اعادت للانسان قيمته التي عرفها الاغريق والرومان، بل سرعان ما جعلوا جسم الانسان رمزاً لكل ما هو حي، واصبح هذا الجسد بؤرة الحياة بأجمعها، وغدت النفس التي فيه، بما يعتورها من عواطف وشهوات، موضوع الادب والفن من جديد. اذن عادت للفرد اهميته، فكان — حسب نظريتي هذه — ان اهتدوا الى التركيب الذروي في الفن، كما اهتدوا اليه في الوقت نفسه في المسرحية . حتى الكنائس نفسها ملأوها بالاجسام العارية الجميلة، وجعلوا خدمة القداس نفسها تلذ للعين والاذن والحس .

وقد تجلى هذا الاتجاه اول الامر في رسوم جوتو الايطالي (القرن الرابع عشر) ونما وتطور في العصر الذهبي للفن الايطالي على ايدي رفائيل، وليوناردو، وتتسيانو وتنتورتو، وبلغ قمة رائعة في صور رمبرندت الهولندي . ومع اختلاف المدارس الفنية المتعاقبة في نواح كثيرة، فان التركيب الذروي لازمها جميعاً، حتى غدا في اواخر القرن الثامن عشر من اسباب الضعف في الابداع الفني عند كثير من الرسامين، لولا بعض الافذاذ الذين كانوا بين الحين والآخر يصاونه بدم جديد، امثال ترنر الانكليزي (اواخر القرن الثامن عشر) ودلاكروا الفرنسي (اواسط القرن التاسع عشر) الى ان قامت مدرسة جديدة في الرسم على ايدي الساخطين على القواعد القديمة المبتذلة : الانطباعيين « Impressionists »، الذين جعلوا من الاضواء والظلال زخارف رائعة، فما عادوا يأبهون للعاطفة والانفعال في الصورة، بل بالالوان نفسها لروعتها، كأنما الطبيعة ما وجدت الا لتلذ العين بأضوائها التي تكشف عن مئات الالوان كلما اشتدت او ضعفت، حسب ساعات النهار . وقد عدت هذه في بادىء الامر (بعيد ١٨٦٠) من نزوات صغار الفنانين

(١) ايطالية معناها « المضاء — المظلم » أي تصوير الاشياء باستعمال الوان تشابه الضوء، وأخرى تشابه الظل، بحيث تكون الاجسام في الصورة مضاءة ومظللة كما هي في الاصل .

(٢) مشتقة من الكلمتين اللاتينيتين في العصور الوسطى اي الفن المنظور، اي تصوير الاجسام بخطوط بحيث تظهر كأن فيها قرباً وبعداً كما تراها العين . ولذلك قواعد معينة .

في باريس ، الذين رفضت صورهم في المعارض الفنية . غير انها اثبتت فيما بعد انها كانت بدء حركة جديدة لا في الفن فحسب ، بل في كل نواحي تعبير الانسان عن نفسه وكان القائمون بها مجددين اذكياء لهم مقدرة الساحر على إتيان ما يبدو خارقاً للطبيعة في فعله وجماله .

وفي بحر نصف قرن كان « التركيب الذروي » الذي عبرت به اوروبا عن عبقريتها قد تحطم : ففي هذه الاثناء ظهرت نظرية « الفن للفن » (ومعنى ذلك بايجاز ان الجمال الحسي هو غاية الابداع ، لا التعبير عن العاطفة) ، ومن ملحقات هذه النظرية مدرسة الرمزية في الشعر ، وفيها ينعدم التركيب الهرمي ، من اجل خلق الرؤى والخيالات التي تحيط بالنفس كضباب لذيذ الملمس ، ولم تكن « السريالية » التي انتشرت بعد ١٩٢٤ ، الا من مواليد هذا الاتجاه الجديد ، ولكن السريالية اهملت حتى الجمال الحسي ، بفعل نظريات فرويد التي كانت بين الحربين الاخيرتين انجيل الادب والفن .

ولم تعمر السريالية طويلاً (وان يكن لها اتباع حتى اليوم) ، ولكنها اطلقت الاساليب من كل قيد ، وفسحت للخيال مجالات لم يكن احد يحلم بها .

اما اليوم — بعد تحطيم التقاليد الفنية باستمرار من ١٨٧٠ حتى ١٩٤٠ — فقد جعلنا نرى اتجاهات جديدة تغالب مجاري التفكك المطلق الذي تدعو اليه « الوجودية » اليائسة ، وفي هذه الاتجاهات ايضاً عود غريب الى فكرة « الذروة » غير ان الذروة الجديدة هي الموت : فروعة الحياة وانتشار خطوطها وتواشج حوادثها او تواليها ، انما يشيع فيها خاطر واحد يتجلى في النهاية ويحصرها جميعاً في قبضته — وذلك هو الموت : لان الشر يخالط كل ما في الحياة ويهدد بدفعه نحو الفناء .

فالفكر الاوروبي اليوم يرزح تحت الخوف من انهيار الحضارة الغربية ولذلك فقد لجأ الى الاسطورة القديمة قدم الانسان — والتي فحواها ان الحياة يجب ان تموت قبل ان تبعث من جديد . وهي اسطورة تموز البابلية او العنقاء العربية : وهي اسطورة ايمان الانسان ببقاء الحياة الى الابد ، وبقائه منتصراً فيها .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

رسالة من والدتي

لسول بلوم

☆☆☆

هنالك قول قديم مملوء بالطمأنينة والرجاء ... « واحد مع الله ... اكثرية » هذه الحقيقة طبعتها والدتي في ذهني عندما كان الايمان بالله يحفزها وسط الفقر والمصاعب التي كانت تواجهنا ... وانني اذكر صوتها الموسيقي عندما كانت تحاول ان تعلمني ... اذكر ذلك كأنه حدث بالامس فقط .

انها قالت لي « الله خير وصدق وحق . انك ستصبح رجلاً يوماً ما وسيطلب اليك عمل الاثم الذي سيرسم لك بالوان زاهية ، وستكون في حيرة من امرك غير عالم ما هو الخطأ ، وما هو الصواب ! وفي ذلك الوقت عندما تكون في حيرة من امرك ، اصغ الى الصوت الخافت في قلبك ، لان الله لا يخاطبك بصوت جهوري ، انك لن ترى الصواب لامعاً في السماء ، اذ ان الله سيهمس في قلبك قائلاً : هذا صواب ، وذلك خطأ ! « ان هذا الهمس سيكون خافتاً ، وتجربتك ستكون قوية ، واذا عملت الشر ستجد سنداً ورفاقاً يؤازرونك ، ولكن ان عملت الخير يظهر لك انك وحيد مهجور ، وربما ظننت بانك تفقد اصدقاءك !

« ولكن لا ، يا بني ، انك لن تكون وحيداً ، فان الله سيكون معك ، انه صديقك ، انه خالق الحق نفسه ، وعندما يساندك الله في الحق ... ستفوز ولو تألب عليك العالم اجمع ، لا تخف الكفاح يا بني ، فانك ستفوز حتماً ، اذ ان الله معك اقوى ممن يعملون الشر ، ولو كانوا يعدون بالملايين » .

في كل الاحوال اسأل قلبك : « اية جهة يختارها الله ؟ » « ماذا يريدني الله ان اعمل ؟ »

***

اماه العزيزة ، كم مرة طوال هذه السنين الطويلة سمعت ذلك الصوت الرقيق يناديني قائلاً : « اصغ الى همسات الله » .

رام الله — فلسطين

ترجمة : جورج خوري سمعان

جيوردانو برونو

بقلم قدري قلعجي

لعل جيوردانو برونو خير مثل اعطاه التاريخ على ما يعانيه الفكر من اضطهاد ، وما يلقاه ابطاله من عنت واستشهاد، وما تنتهي اليه الحرية من انتصار وان تأخر انتصارها قرناً بكامله او قروناً عدة .

ولد برونو في نابولي سنة ١٥٥٠ ، وكانت اسرته من اشراف ايطاليا فتلقى دراسة عالية جمع فيها بين العلوم الرياضية والفلسفية والآداب ، ولكي يتبحر في المعرفة وينقطع لها دخل الى دير دومينيكاني واقام فيه اعواماً كثيرة ، الا انه لم يلبث ان ضاق بعشرة زملائه في الدير وبنظام الكنيسة ،ورأى ان اخلاق اولئك الزملاء وتقاليدهم لا تتلاءم مع مشاعره الدينية الخاصة ، فهاجر من وطنه الى سويسرا .

وبدا لبرونو في جنيف ان تعاليم البروتستنتية اقرب الى مبادىء المسيحية من تعاليم الكنيسة الرومانية ، غير ان البروتستنتية في حد ذاتها لم ترضه كل الرضى، او لم تقنعه بالاحرى كل الاقناع ، فغادر سويسرا الى فرنسا واقام في مدينة ليون ثم في تولوز ثم في باريس ، تاركاً حيثما حل، الشك في التعاليم القديمة، زارعاً بذور تعاليم جديدة.

وكان لفلاسفة اليونان في عهده قداسة تشبه قداسة الانبياء ، ولتعاليمهم حرمة تشبه تعاليم الدين، وقد بلغ من اجلال الاوساط العلمية والرسمية لارسطو الذي كان يتمتع لديها بمكانة خاصة ان الطالب في اوكسفورد كان يدفع غرامة قدرها عشرة شلنات عن كل هفوة صغيرة يخالف فيها تعاليمه ، فلم يتأثر برونو بهذه الحرمة، وكما انتقد بعض التعاليم الدينية اخذ ينتقد تعاليم اليونان ويؤيد نظريات كوبرنيك في علم الفلك، وكان هذا قد جحد فلك القدماء. وقال ان الارض تدور هي وسائر الكواكب حول الشمس .

وكان جيوردانو برونو يعتقد بانه ربما كان هناك عوالم كثيرة كعالمنا الذي نعيش فيه ، وبأن الذرات هي اساس كل شيء ،وان الله ، الذي هو روح الكون ، قد جعلها متحركة . ويقول ان الخير والشر ، والنفع والضرر ، والعدل والظلم ، لا معنى لها في حد ذاتها ، ولا وجود لها الا بالمقارنة وبصورة نسبية .

ووضع برونو بضع مؤلفات علمية وادبية،منها مسرحية ترجمت الى الفرنسية بعنوان « بونيفاس المتغطرس » ، ومنها ايضاً كتاب بعنوان « نفي البهيمة الظافرة » ولعله اطرف كتبه كلها ،وهو زاخر بالادب والظرف وبالعلم والفلسفة في آن واحد ، ويدور موضوعه حول عبادة الآلهة وعبادة الفضائل ، فقد صور برونو جوبيتر حائراً لاهمال الناس لعبادته،وقد جمع حوله الثانية والاربعين كوكباً الذين يمثلون آلهة الاغريق،فقال موموس إله الجنون ان كل الشر يرجع الى اطلاق اسماء الآلهة على النجوم ، فان المغامرات والفضائح التي اشتهرت عن هؤلاء الآلهة قد حقرتهم في اعين البشر، وهكذا انتهى جوبيتر الى اطلاق اسماء جديدة على النجوم،فسمي هرقل : « القيمة »،والدراغون: « الحذر »،وكاليستو: «الحقيقة» ، وتريانغل : « الامانة »، ونفي« الكلب الكبير »ووضع مكانه « اليقظة » و« حب الوطن» اللذين يستطيعان وحدهما تحطيم الطغاة اما السانتور فقد صعب تصنيفه لطبيعته المزدوجة التي تجمع بين انسان وحصان ، فجعل منه كاهناً ليخدم اصحاب الضحايا التي تقدم للآلهة والضحايا نفسها .

وكان هذا المفكر المتبحر في العلم والفلسفة ، ينظم الشعر الرقيق والقصائد الملتهبة،ومن قصائده الممتعة،قصيدة بعنوان«المجد»قال فيها :

منذ فتحت جناحي لشهوة المجد ،

وانا ازداد استسلاماً للرياح ،
تحملني وتصعد بي الى السماء .
كلما رأيت الفضاء يتسع تحت قدمي !

ان نهاية ابن ديدال الحزينة لا تخيفني . .
بل تجعلني اواصل الصعود بجرارة اعظم .
فانا اعلم اني قد احطم يوماً ،
اذا ما هبطت من حالق .
ولكن اية حياة تعدل هذه الميتة !؟

اني اسمع وانا في الفضاء ،
صوت قلبي يهتف بي :
الى اين تحملني ايها المتهور ؟ . .
الا فاطو جناحيك .
فان الجرأة العظيمة لا بد لها من عقاب !

واني لاجيب قلبي قائلاً :
لماذا تخشى نهاية كهذه ؟ !
اني مستعد لان اجتاز الفضاء العاري ،
واموت راضياً مبتسما . .
ان كانت السماء قد أعدت لي موتاً مجيدا !

وفي قصيدة اخرى بعنوان « مدح النسك » يقول :

ايها القديس ، يا مار جهل ، ويا مار غباء .
ايها النسك المقدس .
يا من يسعد النفوس اكثر مما يسعدها الذكاء !
ان السماء التي تقيم فيها ،
لا تفتح ابوابها للعمل والتفكير والتأمل الفلسفي
انك لا تفتأ تقول للمفكرين المكتشفين :
ماذا يفيدكم ، ان تدرسوا الطبيعة وتعرفوا ،
مم تتألف العوالم وكيف تجري الكواكب ؟
فهذا كله لا قيمة له ،
لدى قداسة الجهل وقداسة الغباء .
الذي يركع مضموم اليدين .
فيغمره الله بنعمه !
ويعيش مطمئناً سعيدا ،
لا يحزنه ويشغل باله ،
سوى الراحة الابدية ،
التي يسبغها الله علينا بعد الموت .

وكان جيوردانو برونو يعاني الاضطهاد في كل بلد لجأ اليه ، فكان يقاوم مضطهديه بعنف ، ولا يذعن لارهاب ، قائلاً :

« لا يحق للحكومة ان تعين للناس تفكيرهم » و « ليس للهيئة الاجتماعية ان تعاقب بالسيف اولئك الذين يرفضون التسليم بعقائدها الشائعة »

ومن الحق ان نقول ان الاقطار البروتستانتية كانت اقل اضطهاداً لبرونو واكثر تسامحاً معه ، فأقام في المانيا وقتاً غير قصير ، ولكنه ما لبث ان استبد به الحنين لرؤية وطنه ، فسافر الى ايطاليا مهد طفولته ومسرح صباه وشبابه ، ووصل الى البندقية زاخر النفس بالذكريات والاحلام ، فما كاد يغادر الغندول الذي اقله من السفينة الى المدينة ، حتى القي عليه القبض ، وزج في سجن ديوان التفتيش ، ثم سيق من هناك الى روما فبقي في سجنها عامين كاملين قاسى خلالهما صنوف الالم والعذاب .

وكان برونو يهدد بالموت حرقاً اذا اصر على عقائده وحرية ضميره ، ويوعد بالعفو والمكافأة اذا انكر كل ما صدر عنه من تعاليم واقوال منافية للتقاليد المستتبة والآراء الشائعة في ميدان العلم وميدان الدين ، فكان يأبى الا الثبات والاصرار والعناد ، قائلاً ان كل ما قاله وانتهى اليه من آراء ، انما ابدعه فكره المبدع الذي هو هبة من الله ، وان انكاره لما قرره فكره هذا هو انكار لارادة الله .

وحينئذ سيق برونو الى امام محكمة التفتيش ، وحكم عليه بان يحرق وهو على قيد الحياة ، فلم يرهبه هول هذا الحكم وقسوته ، ووقف وسط المحكمة هادئاً جباراً ، واشار بيده الى قضاته اشارة الاتهام ، وقال بصوت رهيب ارتعدت له ضمائر الحاضرين : « أيها القضاة . لعلكم وانتم تنطقون بهذا الحكم باسم إله رحيم عادل ، تحسون من الفزع والرعب اكثر مما احس انا عند سماعي له ! » .

وقاد الجلادون المفكر الكبير الى ساحة روما ، واوثقوه فوق كومة من الحطب والهشيم ، واشعلوا بها النار . فما هي الا ساعة حتى استحال جيوردانو برونو الى رماد ، امام جمع غفير من نبلاء روما الذين جاءوا ليشهدوا نهاية الرجل الذي استشهد بجلال وعظمة في سبيل الحرية والعقل .

ولكن جيوردانو برونو لم ينته ذلك اليوم . وكان كل انتصار جديد تحرزه الحرية ويظفر به العقل يضفر اكليلاً جديداً للبطل الذي استشهد في سبيلها ١٦٠٠ في ساحة روما .

وينقضي قرن ، ثم ينقضي قرن ثان ، ويليهما قرن آخر .

واذا بأحفاد برونو وتلامذته في النضال من اجل حرية الفكر وحرية الضمير يقيمون له تمثالا في المكان الذي احرق فيه . فيكون هذا التمثال الرائع ، الباقي على الزمان ، صرخة الحق في وجه الطغيان وشهادة التاريخ بان الحرية والعدالة هما اللتان تظفران !

قدري قلعجي

اشواق حائرة

☆☆☆

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

نابلس

●



ماذا أحس ؟ هنا ، بأعماقي … ترتجُ أهوائي واشواقي
بي ألف احساس يحرّقني … متدافع التيار ، دفاق
الف انفعال ، الف عاطفة … محمومة بدمي ، بأعراقي
ماذا احسّ ؟ احس بي لهفاً … حيران يغمر كل آفاقي
جفّت له شفتاي وارتعشت … اظلاله العطشى بأحداقي

نفسي موزعة ، معذبة … بحنينها ، بغموض لهفتها :
شوق الى المجهول يدفعها … متقحماً جدران عزلتها
شوق الى ما لست ادركه … يدعو بها في صمت وحدتها
أهي الطبيعة صاح هاتفها ؟ … أهي الحياة تهيب بابنتها ؟
ماذا احس ؟ شعور تائهة … عن نفسها ، تشقى بحيرتها

قلبي تفور به الحياة وقد … عمقت ومدت فيه كالأمد :
فتهز اغواري نوازعه … صخابة دفاقة المدد
ويظل منتظراً على شغف … ويظل مرتقباً على وقد
احلام محروم تساوره … متوحد في العيش منفرد
ويود لو تمضي الحياة به … للحب، مصدر فيضها الابدي!

وهناك تومىء لي السماء وبي … شوق اليها لاهف عارم
فأحس احساس الغريب طغى … ظمأ الحنين بروحه الهائم
وارى كواكبها تعانقني … بضيائها المترجرج الحالم
تهمي على روحي أشعتها … وتلفه بجناحها الناعم
فأود لو افنى وادمج في … عمق السماء ونورها الباسم

مالي يزعزعني ويعصف بي … قلق عتيّ ، جائح الألم
تتضارب الاشواق حائرة .. … في غور روحي،في مساب دمي .
الارض تعلق بي وتجذبني … وتشد قبضتها على قدمي
وهناك روحي هائم شغف … بالنور ، فوق رفارف السدم
مستحقر للارض ، تفزعه … دنيا التراب ، وهوة العدم .

روحي يلوب بدار غربته … عطشاً الى ينبوعه السامي
فهناك اصداء يسلسلها … صوت السماء بروحي الظامي
وهنا، هنا،في الارض يهتف بي … صوت يقيّد خطو اقدامي
صوتان .. كم لجلجت بينهما . … يتنازعان شراع أيامي
وأنا كيان تائه .. قلق .. … يطوي العوالم شوقه الطامي

الجمود الفكري

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

ربما تكون اعظم امنية* لكل فرد عربي في زماننا الحاضر ان يعرف سبب تأخر امته عن احراز قصب السبق العالمي. ولعل اهم عامل بين هذه العوامل هو الجمود الفكري ومحاربة تعرفنا الافكار الحديثة. ولا اريد من التجدد رفض تراث الاجداد رفضاً باتاً والجري وراء الغرب وتقليده تقليداً اعمى دون مراعاة ميزاتنا وخصائصنا التي آلت الينا من الاسلاف، بل نود دراسة تراثنا لنبذ الفاسد واخذ الصالح جاعلين منه حافزاً للنهوض، سائرين حسب تطلبات آخر ما وصل اليه ارقى جيل في زماننا الحاضر.

يرى نفر منا ممن اوتي نصيباً قليلاً من الثقافة العالمية ان الاقتباس هو عار على الامة كبير، لذلك يودون ابعاد الافكار الغريبة عنهم راجعين على زعمهم الى خصائص الامة الفطرية، وقد غاب عن فكرهم ان العزلة لمستحيلة على امة تبغي النهوض والتقدم، فعالم الافكار اشبه بعالم التجارة يحتاج الى توريد وتصدير، فكل من جمد البضائع في منطقة من المناطق حكم على الامة بالموت والتدهور الاقتصادي، كذلك شأن من فعل ذلك بعالم الافكار ومنع الاقتباس النافع للامة التي تبغي الحياة.

الاقتباس اذن سنة طبيعية، ومن لم يعرف الاقتباس الصحيح لا يعرف الابتكار ابداً، ولم يبتكر العرب الا بعد ترجمة الكتب اليونانية وغيرها الى لغتهم، ولم ترتق اوروبا الا بعد ان نفضت عنها غبار القرون الوسطى وداست التعصب الذميم وادخلت العلوم الغريبة من عربية ويونانية وغيرهما، ولا نرتقي نحن الا بسلوك قانون الرقي الطبيعي واقتباس العلوم والصناعات النافعة.

لم يقف العربي قدماً عند الدرجة التي اخذها عن غيره، بل رقاها وفتح طرقات جديده في فهم الطبيعة لم تطرق على بال الاوائل ولقد ورث الغربيون عن العرب لا عن اليونان روح كشف سر الطبيعة التي كانت خير معين لامم اوروبا في اختراعاتهم واكتشافاتهم الحديثة. واني لاستغرب جد الاستغراب ان لا نجد نفس الحاجة في نقل العلوم كالتي كان يجدها سلفنا في نقل علوم الاوائل، رغم بعد الشقة وشط المزار وتفاوت الزمن، ونحن لا نعمل خطوات جدية في هذا السبيل.

نعم لمن الخطل في الرأي اخذ كل شيء على علاته، اذ لا بد لنا في دراساتنا ان ننقد ونناقش بنزاهة ونية حسنة، واننا اذا لم نفعل ذلك لا نعرف التفريق بين الغث والسمين او نجهل كثيراً من بذورنا الطيبة.

في هذا الصدد يقتضي ان نراعي في نقدنا النزاهة والدقة وطرح الغلو جانباً، لانه مصدر اكثر الضلالات، فالاعتدال في الامر يلزم ان يكون رائدنا والانصاف غايتنا، محققين كل شيء بالعقل، غير سائرين وراء العواطف الهوجاء.

في خلق عدم التسامح يتجلى لنا الجمود الفكري بأجلى مظاهره ومدعو الثقافة الذين ينظرون الى العالم نظرة ضيقة ولا يشجعون من يشتغل بالعلم والصناعات لا يمكنهم المساهمة في تقدم البشرية، بل يرجعون بها الى الوراء.

يجهل بعض منا التشويق للعلم والصناعات فيصورون العلم بقلعة لا يمكن اجتيازها او صندوق مقفل لا يمكن فتحه، فيضعون العراقيل ويتبجحون بالصعوبات التي يضعونها في سبيل رواد الثقافة، وقد غاب عن فكرهم اننا في وقت يجب علينا تسهيل المعرفة والتطبيقات لابنائنا، واذا حصل تضخم في فرع من الفروع وقلت الحاجة اليه وجب ان نحول الوجهة بطرق حكيمة الى فرع آخر يكون اكثر فائدة واجدى عائدة للنشء وللبلاد، مراعين المصلحة مهملين الشكليات الفارغة، لاننا كثيراً ما نبعد اولادنا وافلاذ اكبادنا عن الحياة في سبيل شكليات ما انزل الله بها من سلطان. وهي التي توقفنا عن الحركة وتودي الى التذمر والفوضى. ويرى العقلاء انها الداء الذي يهدد كل امة حديثة. ومن المحتم علينا سحقها قبل ان تسحقنا، لانها تضع قيوداً جديدة تقيد بها حياتنا وتعقد امورنا، سواء الاجتماعية منها والاقتصادية، واذا رسفنا تحت نيرها خلفت فينا بذور الديكتاتورية وفيها الطامة الكبرى والبلية العظمى على العباد والبلاد.

انه لمن دواعي السرور ان تسن في دولتنا الناشئة قوانين جديدة

* حديث اذيع من محطة الاذاعة السورية بدمشق.

حتى اننا قد خطونا خطوة كبيرة في ادخال المرأة معترك الانتخاب واشراكها في الحكم ، فضربنا بذلك مثلاً طيباً في قابلية رقينا . ونحن نأمل ان نسير في تبديل اوضاعنا على نهج السنن الحديثة ، لان القوانين والانظمة ما وجدت لتكبل الانسان ، بل لتحفظ له حقوقه وتفرض عليه واجباته . ويشبه العقلاء القانون بالملابس فاذا كانت ضيقة فليس من المعقول قطع لحم الانسان لكي يدخل فيها بل لا نجد مندوحة، من قص الثوب في سبيل راحة الانسان ورفاهيته لان القانون يجب ان يضمن قبل كل شيء راحة المواطن وهنائه وعزه وسؤدده وان يكون ابن البلاد اكثر غنا واقل غرماً من الاجنبي .

هنا ما نسجله بكل فخر واعتزاز ما قطعناه من خطوات الى الامام ، ولكن لا يزال بيننا بقية من رجعية تود رفض التقدم رفضاً باتاً ، نافثين في روع نابتتنا من ان حرماننا من صناعات الغرب الحديثة ما هي الا رحمة جادت بها السماء على ارضنا، فسخرت الغربيين لنا، لنتمتع بخيراتهم دون ان نكلف انفسنا عناء الحصول عليها من تلقاء انفسنا، هكذا يموه نفر من الناس علينا، فيقلبون بذلك الحقائق رأساً على عقب ، هؤلاء هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً .

كم من الناس يريدون ايقاف التاريخ العربي عند نقطة واحدة، ضاربين عرض الحائط بمجهودات العصور المتأخرة، قاطعين كل امل لنا في المستقبل، ظانين اننا قد لعبنا دورنا ثم متنا ولن يكتب لنا البعث ثانية، وقد غاب عن فكرهم ان في امتنا بذوراً لن تموت .

كل هذه الآفات يجرها علينا «الجمود الفكري» وحصر العقل الحر في نطاق صغير لا يتعداه، فنبتعد بذلك عن الفهم العميق لتراثنا ونغلق صدورنا عن تأثيرات جديدة، لا تضر بذاتيتنا فحسب ، بل في تقدمنا في مضمار الحضارة، ولا يمكننا ان نقضي على هذه الآفات الا بالتعاون حكومة وشعباً على استئصال شأفة هذا الداء العضال، واننا ان لم نقض على الجمود بكل ما اوتينا من قوة وعلى آخر اثر من آثاره لن يكون لنا نصيب في العروج الى مدارج الرقي .

هكذا نضع انفسنا في السلاسل والاغلال، زاعمين ان القضاء الجائر قد حكم علينا حكماً قاسياً ، وما القضاء الجائر في الحقيقة الا جهلنا .

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى اذا فاته امر عاتب القدرا

« وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون »

دمشق — محمد يحيى الهاشمي

نشأة كتب السيرة عند العرب

بقلم حسين نصار
ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الاول

●

كان العرب في جاهليتهم قوماً لا يعرفون من العلوم والفنون الا انواعاً بسيطة بادئة ، فما نسمع عن شيء غير تلك المدونات المحفوظة في اديار الحيرة ويقول الطبري (٢ : ٣٧) ان الكلبي كان يرجع اليها في مؤلفاته. وهي في غالب الظن وثائق رسمية بقيت من آثار المناذرة وخزائنهم في تلك الكنائس والاديار . ولكن هذا لا يعني ان العرب لم يعرفوا اي نوع من التاريخ ، بل عرفوا ، وعرفوا عدة انواع منه، فقد عرفوا الانساب وحفظوها ، وعرفوا قصص الايام والحروب ووعوها ، وعرفوا قصص الابطال وتغنوا بها . عرفوا هذه الانواع، ورواها السابق للاحق بعد ان حلوها وزادوا فيها ، حتى اصبحت

على مر الزمن خرافات واساطير وقصص شعبية ، تحوطها المبالغة والتهويل ، تشبه ما ينتشر اليوم بيننا من قصص عنترة وأبي زيد الهلالي والظاهر بيبرس .

ثم انبعث الاسلام ، وشمل بحركته ارجاء الجزيرة ، واتصل منها الى ما قرب وما بعد من اقطار ، وهبته ما كانت تملك من ثروات مادية وعلمية وفنية .

وعندما هدأت الحماسة الاولى ، ووجد الغزاة فترة لا تشغلها الحروب ، التفتوا الى الهادي الاول ، متطلعين الى معرفة اخباره وصفاته ، ومن ثمت نشأت السيرة اول ما نشأت احاديث في مجالس الخاصة ، كانت تدور حول غزوات النبي فيسأل بعض الولاة او الاعيان عالماً اشتهر بالحفظ والرواية : عن أبي سفيان ومخرجه في يوم بدر ، أو عن خالد بن الوليد : هل اغار يوم الفتح ، وبأمر من اغار ؟ وما شابه ذلك .

ثم تقدم الزمن ، فدون هؤلاء الرواة ، وكلهم من التابعين ، ما ورثوه عمن تقدمهم من الصحابة ، وأول من دون هذه المغازي ابان بن عثمان بن عفان ، فعروة بن الزبير بن العوام ، وهما من اشراف العرب المسلمين . ثم تواتر الكتاب في السيرة بعدهما ، من امثال وهب بن منبه ، وعبدالله بن بكر ، وعاصم بن عمر ، والزهري وتلاميذه . واستمر الحال كذلك حتى بلغت السيرة مرحلة النضج والكمال عند ابن اسحاق والواقدي وابن سعد .

ونحن حين نريد البحث في نشأة هذا الفن عند العرب الاولين ، لا نجد كتاباً مستقلاً في العربية يوفيه حقه من البحث والدرس ، وانما فصول مختصرة لا تشفي غليلاً ، ولا تغني حاجة ، كما في فجر الاسلام وضحاه للاستاذ الدكتور احمد امين بك ، وكتاب علم التاريخ للاستاذ هرنشو ، الذي اضاف اليه مترجمه الاستاذ الدكتور عبد الحميد العبادي فصلا عن نشأة التاريخ عند العرب .

ولكن اللغات الاوربية عرفت بعض الكتب التي تتناول هذا الفرع من فنون الدراسات العربية وتوفيه حقه ، بل تفصل الكلام عن انواعه وضروبه . فهذا المستشرق الانجليزي الاستاذ مرجليوث Margoliouth يؤلف « محاضرات عن التاريخ العربي Lectures on Arabic History » ، وهذا المستشرق الالماني الاستاذ بروكلمان Brockelmann يضمن كتابه العظيم « تاريخ الادب العربي Geschichte der Arabischen Litteratur » فصولا ممتعة مفصلة عن اطوار التاريخ العربي وانواعه ، ويشبهه الى حد ما المستشرق الفرنسي الاستاذ Huart في كتاب « الادب العربي Littérature Arabe » ،

وهذا المؤلف الذي اتينا بكل هذه المقدمة من اجله يؤلف بحثاً قيماً في نشأة السيرة عند العرب . وهذا المؤلف هو المستشرق الالماني يوسف هوروفتس J. Horovitz . فقد نشر عدة مقالات في مجلة « الثقافة الاسلامية Islamic Culture » التي تصدر في حيدر أباد باللغة الانجليزية عن هذا النوع من التاريخ العربي تحت اسم « المغازي الاولى ومؤلفوها Early Biographies of the Prophet and their Authors » .

وقد عني هذا المستشرق العلامة بالمؤلفين في السيرة قبل محمد ابن اسحاق ، وتتبع اخبارهم في مختلف كتب التاريخ والحديث والطبقات ، وما بقي لهم من مدونات مستقلة ، او مبثوثة في تضاعيف الكتب المتأخرة . ثم خرج من كل هذه المعلومات بتراجم وافية لهؤلاء المؤلفين ، اقامها على منهج علمي دقيق ، وتناول الآثار الباقية من مدونات اصحاب السير وصفاً وتحليلاً ونقداً ، واستخلص من كل ذلك الخصائص التي تميز بعض المؤلفين من بعض ، والخصائص التي تميز كتابة السيرة عامة في الامصار المختلفة ، وخاصة المدينة واليمن والعراق . وبلغ المؤلف اعلى مجده في ترجمتي ابن اسحاق والواقدي ، فكتب عنهما الصفحات الطوال ، ووهبهما ما يستحقان من عناية .

هذا الجهد الجبار الذي بذله المؤلف في مقالاته ، جعل بحثه رائعاً خالداً لا يستغني عنه باحث في الدراسات العربية القديمة . فهو عدة بالاساس الذي يمكن ان يقف عليه في دراساته في ميادين الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والفروع الاخرى من التاريخ ، وغيرها من الفنون والعلوم التي كان يعتمد فيها العرب على نظام الانسانية . فيتيسر للباحث ان يصل الى نتائج هامة لم يكن ليصل اليها بغير هذا المنهج الذي وهبه اياه مؤلف المغازي .

هذه التحفة الرائعة استولت على لبي حين وقع عليها نظري ، فما كدت اعثر عليها ، وأشرع في قراءتها ، حتى شغلتني عما حولي الى ان اتيت على معظمها . وكان تأثيرها فيّ من القوة بحيث تمنيت لو اتيح لاخواني قراء العربية الاطلاع عليها . وحينئذ ثارت في نفسي قوة دافعة الى ان اكون ذلك المترجم السعيد ، الذي يحظى بشرف وضع اسمه الى جانب اسم ذلك العلامة الكبير . فاستجمعت العزم ، وبذلت الجهد ، حتى وفق الله الى الانتهاء منها . وقام بنشرها شركة مصطفى الحلبي وابنائه واني ارجو من الله ان يتيح لنا في شرقنا العزيز الكثير من هذه الدراسات القيمة التي توجهنا وتسير بنا الى طريق المجد والفخار الذي سلكه من قبلنا اسلافنا العظماء .

القاهرة حسين نصار

مواطن جديد

مهداة الى الاستاذ امين يوسف غراب

بقلم مهدي عيسى الصقر

☆☆☆

آه .. تنبعث من زاوية الكوخ فيرفع الرجل رأسه ويرنو الى زوجته القابعة على بقايا حصير ثم يتطلع الى وجهها الشاحب الباهت ويتسائل

— ما بك ؟

الجنين .. أحس ألماً شديداً في احشائي . يبدو ان ساعة الوضع قد دنت .. ان الشقي يتأهب للنزول الى الحياة ، ليأخذ نصيبه من الالم والعذاب ، نصيبه من الشقاء والبؤس . ويدير ببصره الى باب الكوخ . ظلام . الظلام يكتنف الكون . لا . الاكواخ .. الاكواخ فقط .. ان كلمات زوجته تهبط على رأسه كالمطارق فهلا كفت عن الشكوى .

— امعك عود ثقاب ؟؟ يلتفت الزوج . ان النور الضعيف الذي كان ينبعث من ذبالة السراج قد مات .. تلاشى .. فملأ السواد جوانب الكوخ .. انطفأ .. ويمد الرجل يده الى جيبه . لا شيء .. انه مثقوب . الجيب الآخر . فتصطدم ببعض الاجسام الصغيرة يعرف بينها علبة الثقاب لكنه يتمهل فلا يخرج يده . بل يظل يعبث بتلك القطع ويمر باصابعه على اطرافها هذه القطعة التي جوانبها ملساء .. فلس .. وهذه الصغيرة التي بأطرافها نتوء .. اربعة . اما هذه الكبيرة قليلاً .. فعشرة .. خمسة عشر فلساً . انه يتفحصها للمرة العاشرة دون ان تزداد قليلاً . خمسة عشر فلساً . يقولون ان النقود تأتي بالنقود ، الذهب يأتي بالذهب ، اما النحاس ؟

وينهض الرجل متثاقلاً فيتحسس بأقدامه الارض وبيديه جوانب الكوخ حتى يعثر بالسراج فيشعل عود الثقاب ويدنيه من الذبالة فينبعث نور خافت يطرد شيئاً قليلاً من الظلام ويلتفت الى زوجة فيجدها تتأوه لكن الضياء لا يلبث ان يتلاشى فيغدو الكوخ قطعة من الليل ويحمل الرجل السراج متذمراً ويهزه بيده هزاً عنيفاً .

— نضب .. الغاز نضب . ان السراج خال من الغاز .

تئن الزوجة .. ويطلق الزوج ضحكة قصيرة .. — حتى الغاز ايضاً .. هه .

— تضحك وانا اتألم .

— اجل اضحك وانت تتألمين .. يجب ان نضحك ونحن نتألم هكذا يريدوننا اما الشكوى فكأي شيء آخر في الحياة ، محرمة علينا .. يريدوننا ان نضحك ونحن نموت .

— من هم ؟؟ — الناس .. المتخومون من الناس .

— انت تهذر .. لا افهم ان يضحك الانسان وهو يتألم .

— هذا صحيح ، انا ايضاً لا افهم .

— آه .. الالم يشتد .. هل تحركت من مكانك . الكوخ خال من كل شيء .. استعطفه لعله يعطيك بعض النقود . قل له اجرك عن الشهر المقبل .

قصة

— استعطفته .. استعطفته فلم يفعل .. قبلت (يصمت قليلاً

ثم يندفع) قبلت حتى يديه .. الوغد ..

— آه .. آه .

ينظر الرجل الى زوجه .. فلا يرى شيئاً . فالظلام يقف سداً بينه وبينها .. الا ليت الظلام منع عنه انينها ايضاً . هذا شيء لا يطاق .. شيء لا يطاق ..

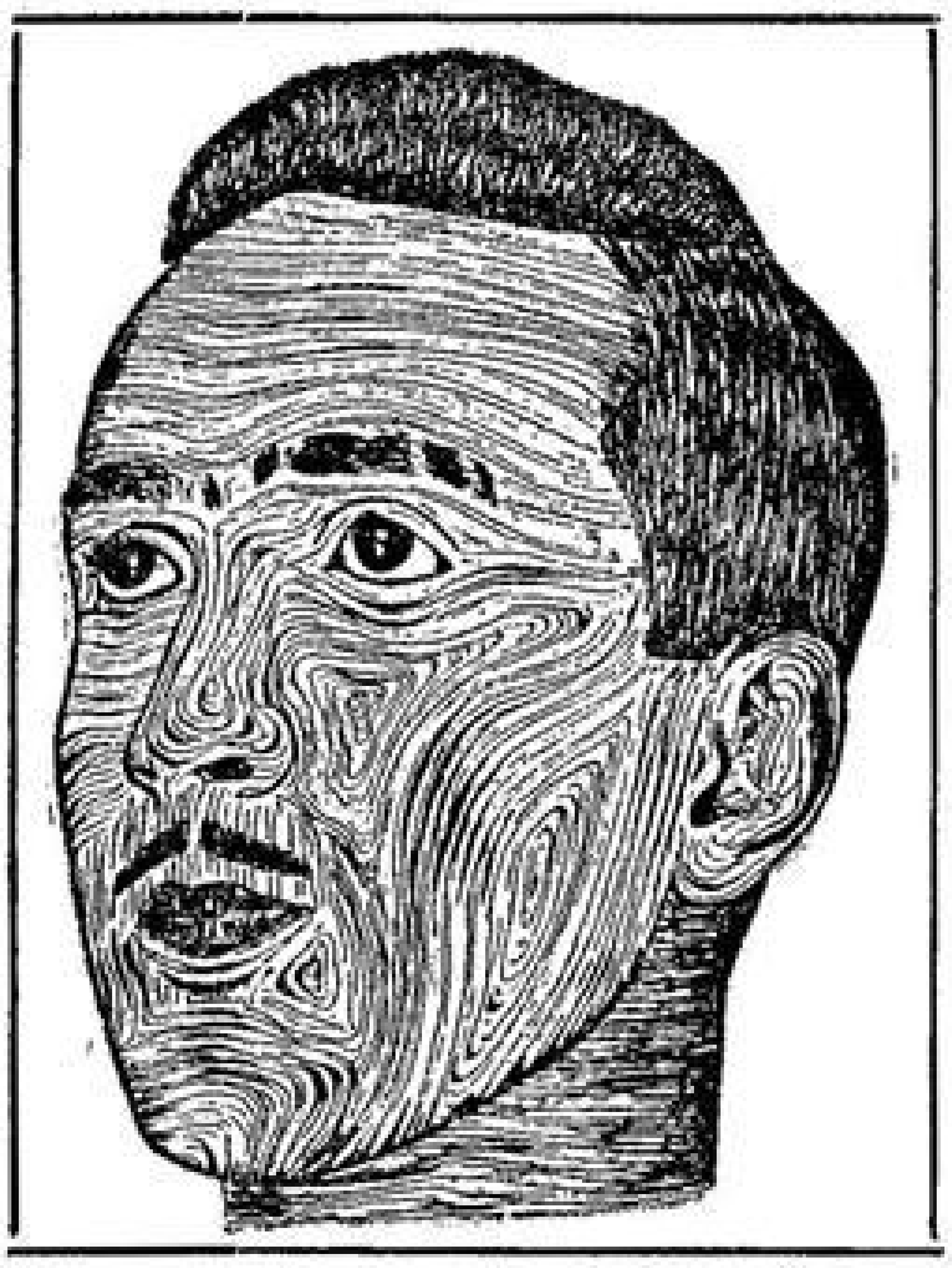
— آه .. قل له ان امرأتي على وشك الوضع .. دينار واحد . نهيء به بعض الطعام وفراشاً للطفل ، وأجر مولده .. إئت بها معك .. مالك لا تجيب .

آه . تنبعث من بين شفتي المرأة الضامرتين ، فيها كثير من الالم وشيء قليل من الارتياح فقد خرج زوجها لعله يفلح هذه المرة فيحصل على بعض النقود من سيده . وتلقي نظرة الى الخارج ، لا شيء سوى الظلام .. واشباح النخيل والاشجار . تعبث برؤوسها الريح .. فتنبعث منها اصوات غريبة موحشة تجفل لها القلوب .. لكن قلبها لا يجفل .. فقد الفت هذه الاصوات . وهذا الظلام . وهذا البؤس .. اشياء صاحبتها مذ ولدت في كوخ ابيها عبد الغفار ورافقتها وهي تنمو واستقبلتها في بيت زوجها منذ عامين . اشياء الفتها .. كما الفت هذا الكوخ وهذا الحصير البالي والسراج الذي نفد غازه الليلة فظل خالياً . وما اكثر الليالي التي بقي فيها خالياً من الغاز .. وتتمدد المرأة على الحصير الذي لا يكاد يمنع عن جسدها الارض . لكنها لا تلبث ان تهب جالسة فالالم يشتد . ويشتد .. يا الله .. لم يعد ابراهيم بالمولدة .. أكتب لها ان تضع الجنين وحدها .. لكن الالم لا يترك لها وقتاً للتفكير . فالطفل يكاد يمزق منها الاحشاء .. انه يتقلب في بطنها .. كما تتقلب السمكة حبستها شبكة الصياد في الماء .. تنظر الى باب الكوخ لا شيء سوى الظلام .. ها .. هاهما قد اقبلا .. هذا هو ابراهيم وخلفه المولدة .. لكن ما لهما وقفا . ابراهيم اسرع .. لكن ابراهيم لا يسرع .. بل يظل جامداً . وكذلك المرأة التي خلفه . لا تتحرك لا يتحركان . وكأنهما من حجر . كأنهما من خشب .. كأنهما جذوع اشجار .. آه .. يا لها من عمياء ، فما تراه ليس الا جذوع اشجار .. ما هذا الثقل الذي يضغط على قلبها . ان الطفل يدور في بطنها .. ليوجه رأسه الى تحت .. تحس انها تختنق .. ووجهها يلتهب .. الدم يسري في عروقها كالنار .. والالم يشتد .. ويهزها هزاً . فتتحامل على نفسها . حتى تصل الى عمود في وسط الكوخ .. فتمسكه بكلتا يديها .. لكن العمود الذي لايكاد يحمل سقف الكوخ .. يتأرجح تحت يديها .

فتتأرجح معه .. والالم يشتد .. ويشتد .. فيجف فمها . وتشعر بظمأ شديد .. رأسها يشتعل .. ويتساقط العرق من جبينها .. امعاؤها تكاد تتمزق .. وكأن سكيناً تتحرك في بطنها . فتطبق يديها بقوة حول العمود .. وتلقي برأسها عليه وبدون وعي .. تصرخ صرخة . ترعج سكون الليل .. فتنبح الكلاب في الخارج .. الالم فظيع .. ان الجزء الذي تحت بطنها يتضخم .. ويتضخم .. حتى لتكاد تتقطع الاعصاب .. ويتشقق اللحم . وهي تصرخ .. وتضغط .. وتصرخ .. ثم يصيبها الاعياء .. وتنطبق اجفانها .. وتحس بنوم لذيذ خاطف .. ثم تفتح عينيها وتشعر بهدوء وارتياح .. ويلفح الهواء وجهها المبلل بالعرق .. فتحس ببرد خفيف . يقشعر له بدنها . وتجد جسمها قد خف وزنه ، تحس بخمول وتراخ في كل اعضاء جسدها .. وتنظر تحتها — وكانت عيناها قد اعتادتا الظلام بعدان خبا السراج — فترى شيئاً يتحرك . شيئاً لا تتميزه .. فتتحسسه بيديها .. طفل .. ذكر .. وترتسم على شفتيها شبه ابتسامة .. تحوي من المرارة واليأس .. اكثر مما تحوي من السرور والامل .. وتهم بالنهوض . واذا بالسكين لا تزال تحز في الجزء الاسفل من جسدها .. تحس شيئاً . يشدها الى الارض . شيئاً يربط بينها وبين الرضيع .. وتجد في بطنها بعض الالم .. فتكتم انفاسها . وتضغط .. وتسقط كتلة من اللحم والدم .. فتحس براحة كاملة .. وبجسمها اخف من الريش . فتتناول بعض الخرق .. وتمسح بها جسدها .. ثم تعقد طرفه الى بطن

الرضيع .. وتلفه ببعض الخرق البالية. وترفعه بين يديها. وتدنيه من وجهها .. ولاول مرة .. يصل صوت ابنها الى اذنيها .. واهناً ضعيفاً. كجسده الضعيف الواهن .. انه ولد .. ولد على اي حال .. اجل ولد .. وتنظر الى باب الكوخ .. لكن زوجها لم يعد بعد .. انها في غير حاجة الى مولدة .. فقد وضعت وانتهى كل شي .. لماذا لا يعود .. ليرى طفله .. ولده .. نعم ولد .. وتمد يديها تتحسسه مرة اخرى .. لتتأكد .. ايه ايها الشقي .. ان اول صفحة .. من صفحات حياتك قاتمة سوداء .. نحن الجناة .. نحن اتينا بك الى الحياة .. لتتألم وتتعذب. يقولون ان الانسان يولد ليتعذب ويموت .. لكن أكل انسان يولد ليتعذب. هناك اناس يولدون ليتنعموا ثم يموتوا. يتحرك الطفل .. ويبكي بصوت خائر متقطع – إبك .. انك تبكي فلا اكاد اسمع بكاءك .. وستظل تبكي طيلة حياتك .. ولن يحس بك احد .. فالضاحكون لا يسمعون بكاء الباكي .. ولا يشعرون بشقاء الشقي ولا يرون بؤس البائس اما الباكون فيسمعون قهقهات المترف ويرون نعيم المتنعم ايه ايها المسكين .. اذا كانت صفحات كتاب حياتك قاتمة فأني – وأنا امك – اتمنى ان يكون هذا الكتاب قليل الصفحات .. انك ولد .. لكنك جئت في كوخ كوخ جدرانه من قصب وقش .. لا من حديد واسمنت .. ولا من حجر وجبس .. حتى ولا من طين .. لو انك جئت في قصر .. او في دار .. لا يبيت اهلها على الطوى .. ولا يخلو سراجهم من غاز .. اذن لاقيمت الافراح وعلا البشر الوجوه وهنأ بعضهم بعضاً فانت ولد .. ولد تتمناك كل ام ويتلهف اليك كل اب .. ولد تذبح عند مقدمه الضحايا والقرابين .. اما نحن فما الذي نضحيه استبشاراً بمقدمك .. وتجفل المرأة اذ يدوي في الفضاء صوت عيار ناري يحمله الهواء من اقصى المدينة .. فتضم ابنها الى صدرها . ويخفق قلبها بشدة .. وتنظر الى باب الكوخ خائفة .. لا شيء سوى الظلام .. فتضع الطفل الى جانبها برفق .. وتلقي بجسدها الخائر المنهوك الى الحصير .. بعد ان تلفه بأسمال .. كانت يوماً ما فراشاً، وينام الصغير .. ولا تلبث ان تأخذها سنة الكرى . فتروح في سبات عميق .. وتظل الريح تصفر في الكوخ .. وتمر ساعات من الليل .. واذا بالمرأة تهب مذعورة وهي تصرخ ابراهيم .. ابراهيم .. يا حافظ يا الله .. وتمد يدها حيث يرقد. فتجد الفراغ لا احد .. اذن هو لم يعد حتى الآن .. ما هذا الابطاء .. وما معنى هذا الحلم الغريب المزعج .. وراح قلبها يخفق بعنف .. يا الهي .. ابراهيم بين مخالب وحش ضخم اسود .. وطفل يجمع اعقاب السجائر .. يطارده رجال البوليس .. وقبور .. ونهر من دم .. ورجل بدين يجذبها من شعرها ويقهقه .. ما معنى كل هذا !!؟ وتستبد بالمرأة الوساوس .. فتنهض الى باب الكوخ .. وتجهد عينيها لترى شيئاً .. لكن لا شيء سوى الظلام .. واشباح النخيل والاشجار .. لا اثر لابراهيم في الطريق .. انه لم يعد بعد .. ويهمس صوت من الظلام .. انه لن يعود .. صوت لا تسمعه اذناها .. بل يحسه قلبها ، فتشتد ضرباته لكنها تظل تنتظر .

العراق – البصرة **مهدي عيسى الصقر**



غمازة

مهداة الى الشاعر الكبير عمر ابو ريشة

غمّازةٌ ام قبلة ساهيهْ — على خدود غادة غافيهْ
تفسح لي من خدها كوة — وتلتوي عن غدها لاهيهْ
قد غازلت خفقتها ضفةً — وسلسلت خطوتها ساقيه
تهرق في نقلتها موعداً — معطراً وبسمة زاهيه
وافت الى غديرها ، طفلة ، — تنظر في صقاله حانيه
فنزقت ، في غنجة ، ثوبها — واغتسلت حافية عاريه
وهاجها مراحها فارتمت — في لجة ، غريقة طافيه

***

غمازة ام قطرة من ندى — تمسح خد حلوتي الغانيه
تسفح في ايماءة حلوة — ضحكتها ناعمة صافيه
فيسكب الفراش إما غفت — جناحه امنية غاليه

***

وشاحها من قلق لونه — ومن ذهول ليلة ساجيه
تهفو الى فضائها ، نجمة ، — تمسح جرح افقها شاكيه
فتنسج الاحلام في لفتة — وتحبس الطيوب في خابيه

***

وان حُبت في فيئها قبلتي — وواكبت بسمتها القانيه
ولوّنت حمرتها بالندى — وجاذبت عطورها الفاغيه
تمنعت ، في ميسة ، وانثنت — تشير لي واسلست راضيه
وانطفأت في ذلة وامحت — ولملمت خيوطها الواهيه

***

غمازة ام قبلة ساهية — على خدود غادة غافيه

برن - سويسرة

بديع حقي

رسم الشاعر بديع حقي بريشته

الشرق ذو الاسرار

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

نضم آسيا ما يكاد يبلغ ثلاثة أخماس الجنس البشري. ومن المحتمل ان النسبة بين عدد سكان آسيا وبين عددهم في اوروبا، في الازمنة السحيقة الغابرة كانت أكبر من النسبة الحالية بين سكان القارتين.

وفي آسيا ظهرت أقدم الحضارات البائدة كما ظهرت اقدم الحضارات التي بقيت بقاء الدنيا الى يومنا هذا.

فالصيني المعاصر يستطيع ان يقرأ الاقوال الحكيمة التي نطق بها أسلافه في ذلك الماضي المتغلغل في القدم يوم كان أسلاف الامريكيين المعاصرين يتقاذفون بالحجارة في الغابات. كما يقول مستر « دولي » الفيلسوف الامريكي.

ولا شك ان لدى تلك الامم العريقة في المجد ينابيع من العلم، وفيوضاً من الحكمة يفيدنا العلم بها.

ولكن الذين كان لهم الاثر البالغ في آراء الاوروبيين والامريكيين هم اولئك الاقوام من الشعوب القديمة الذين عاشوا في غرب آسيا.

فاليهود الذين اورثوا الاقوام التوراة، كانوا قريبين جداً من اوروبا حتى ليعدّون انفسهم اوروبيين.

اما الاقوام الذين يقطنون الاقاليم الشرقية والاقاليم الجنوبية من آسيا فقد ظلوا الى زمن قريب كأنهم غرباء عنا من الوجهة الثقافية بل كأنهم من سكان كوكب آخر غير هذا الكوكب.

فقبل القرن الثامن عشر كان التجار والرحالة — اذا عادوا الى اوربا — يقصون القصص الغريبة عن الصين وعن الهند. ولكنهم كانوا، لانواع المنسوجات ولاصناف التوابل، أعمق دراسة منهم لصنوف العلم وألوان الادب.

أما اليابان فقد كانت حتى منتصف القرن التاسع عشر كتاباً مختوماً لا يباح لاي عين من عيون اهل الغرب ان تقع عليه.

وان كتاب الشرق الاقصى القديم لا تزال اسراره غامضة علينا. ذلك لاننا لا نستطيع قراءته وذلك لان الترجمة قد بدأت منذ عهد جد قريب.

وأهل الغرب يعنون كل العناية بارسال الجيوش لتغنم المدائن والقرى ولكنهم لا يعنون بارسال العلماء ليقبسوا الآراء.

وإنا لمحاولون في هذه العجالة — وشفيعنا في عدم الاطالة هو الجهل بأديان الشرق وآدابه — ان نلم المامة خاطفة بآداب آسيا، وسطها وجنوبها وشرقها.

ولنبدأ بكونفوشيوس حكيم الصين الذي عاش قبل خمسمائة سنة من ميلاد المسيح.

ولقد كان كونفوشيوس يشبه المسيح من وجهات عديدة. فكان يكلم الناس ويمشي في الاسواق. وكان يعظ الناس بصيغة النهي فيقول: « لا تعامل الناس بما لا تود ان يعاملوك به »: وهو في حبه لاوساط الامور، وفي ايمانه بالمحاسبة النفس حساباً هادئاً من اثر قوي، يشبه سقراط وسائر فلاسفة الاغريق. وقد كان كونفوشيوس رجلاً فيه زهد وفيه قناعة. وكان يأمر بالموادعة وترك الخصام. وكان لا يطلب لنفسه اي جاه او سلطان.

ولكن اتباعه ومريديه هم الذين بالغوا في توقيره وتعظيمه ثم اتخذوه الهاً.

وان اولئك المريدين والاتباع هم الذين وضعوا كثيراً من كتب الحكمة التي تحمل اسمه وان كانت آراؤه هي بالطبع الاسس التي قامت عليها تلك الكتب.

واذا تركنا جانباً ما احدثه من أثر في بني قومه بدماثة خلقه ولين جانبه فانا واجدون اهم اثر باق من آثاره هو انه جمع وخلد الآداب الصينية القديمة. وتلك الآداب قوامها التاريخ الاسطوري والشعر والحكم المأثورة.

ولا تعرف اللغات الاوروبية الى الآن الا القليل جداً من من الادب الصيني. ولكن الرغبة الملحة في التعرف الى شعراء الغناء الصينيين، قد زادت في الزمن الاخير. واعظم هؤلاء الشعراء قدراً هو « لى بو » الذي عاش في القرن الثامن المسيحي.

واذا اردنا ان نبوئه مكاناً بين الشعراء طبقاً للمقاييس الغربية فإنه يبدو أنه مزيج من الشعراء « فرانسوا فييون Villon » و« عمر الخيام » و« هيني ». وان فن الرسم الصيني وفن نحت التماثيل لمعروفان —ولو قليلاً— لكل من زار متحفاً من المتاحف التي تعنى بالفنون. بل لكل من نظر الى وجوه دكاكين التحف الشرقية.

وليس هناك سد يحول بين عين الاوربي مثلاً وبين آنية جميلة من أواني الزهر الصينية.

ويقول لنا العارفون ان الصلة الروحية قريبة جداً بين الشعراء

الصينيين وبين اولئك الفنانين من بني قومهم الذين يستوحون خيالهم في النقش على العاج والرسم على الخزف وفي تطريز الثياب الحريرية .

والادب اولاً وآخراً هو البرزخ الذي تلتقي عنده ابصار الشعوب التي بعدت بينها الشقة ، وشط المزار .

وان روح اليابان التي صارت في الازمان الحديثة اكثر من الصين اقتراباً من العالم الغربي وقد اصبحت معروفة – اذا جاز لنا ان ندعي هذه الدعوى – عن طريق واحد يكاد لا يشاركه سواه وهو طريق الفنون الجميلة مستقلة عن الادب .

فالرسوم العجيبة ، والخزف ، والستائر اليابانية قد اكثرت اوربا وامريكا من استيرادها . وذلك لطهارة ذمة الفنان الياباني الذي لم تلن قناته للمغريات التجارية .

اما الشعر الياباني فما زالت ارضه بكراً . ولا سوق له في بلاد الغرب . واغلب الشعر الياباني قد طال عليه القدم .

وقد استعار اليابانيون آدابهم الفصحى من الصين . مثلهم في ذلك – الى حد ما – مثل اوروبا التي نقلت اصول افكارها عن اليونان وروما .

ولكن شعر اليابان الغنائي له طابعه الاصيل . وله ذاتيته المطواعة . وازهى عصر من عصور الشعر الياباني هو القرن الثامن الميلادي . واشهر شاعرين نبغا هما « هيتومارو » و« أكاهيتو » .

والشعر الياباني الغنائي شعر إيحائي . وهو ابيات قصيرة . لا يمتد بها النفس حتى تبلغ مبلغ القصائد . ولكن سحر هذه الابيات لدى اليابانيين ولدى الدارس الاوربي للادب الياباني هو حقيقة واقعة يجب ان نؤمن بها ايمان تسليم . ذلك لان الترجمات الانجليزية القليلة التي قرأتها قد أتاحت لي ان احكم ان ما قرأته يعلو على المستوى العادي للشعر . والذنب في هذا يجب ان يحمل وزره المترجمون .

وهذا الحكم له اهميته لا في معرفتنا للشعر الياباني بل في المشكلة الكبرى ، مشكلة الاتصال الادبي بين الاقوام الشرقية والغربية

ويجمل بنا ان نقتبس هنا كلاماً قاله لافكاديو هرن Lafcadio Hearn » (١٨٥٠ – ١٩٠٤) وهو أديب ولد لاب انجليزي وتجنس بالجنسية اليابانية وتسمى باسم « ياكومو كويزومي Yakumo Koizumi .

قال صاحبنا : ان الشعر الياباني هو في الواقع – كما يبدو لي – رسوم يابانية ملونة صيغت في كلمات ، لا اكثر من ذلك ولا اقل .

وكتب مرة الى احد تلاميذه اليابانيين يقول : ان البيت الجميل من شعر « هيني » او « شكسبير » او « كالديرون » او « بترارك » او « حافظ الشيرازي » او « السعدي » يبقى جميلاً حتى لو ترجم نثراً في لغة اجنبية اخرى .

امـا الشعر الذي لا يمكن ترجمته فهو شعر لا قيمة له بين آداب العالم : بل هو لا يستحق ان يسمى شعراً .

وقد اصبحت اليـابان امة عصرية نصف اوروبية في المظهر وهي تبدو اقرب الينا من الهند التي تبدي مقاومة شديدة لقبول الافكار الاوروبية . ومع ذلك فان الهنود هم ابناء عمومتنا ، اذ هم فرع من السلالة الكبرى المعروفة بالآرية او الهند الاوروبية .

وقد بلغت الهند مرتبة عظمى من الحضارة . منذ نيف وثلاثين قرناً ، وفلسفة الهند الدينية هي اعرق في القدم من فلسفة اليونان . وقد استمد كثير من فلاسفة اليونان كثيراً من آرائهم من فلسفة الهنود .

وقبل ان يسمع صوت السيد المسيح على شواطىء بحيرة طبرية كان الدعاة الهنود يدعون الى الاخاء الانساني ويشيدون بذكر الله وعظمته .

وانها لاضحوكة من اضاحيك التاريخ ان الهنود لم يجدوا لدى اخوانهم من بني الغرب الاخوة المنشودة . وانهم قد انقسموا فيما بينهم شيعاً واحزاباً . وان فشل الهنود في تحويل العـالم الى اخوة عالمية ، او في ان يحققوا في انفسهم المثل العليا التي اختطها حكماؤهم انما هو فشل قد خيب آمال كل اصحاب الاحلام النبيلة . بل فت في عضد كل ديانة من الديانات ومنها ديانة المسيح .

ولكن الآراء والافكار لا شك تبقى حتى لو لم تقدر لهـا الغلبة والسيادة .

ويمكن تعريف الادب – بأنه تقييد الآراء وتسجيلها ، مهما تجاهل الناس قيام تلك الآراء . ومهما رفضوا قبولها .

والهنود منذ القرون الاولى قد اوتوا القدرة عـلى التعبير عن آرائهم تعبيراً فيه الوضوح وفيه الخصب .

وقد قدر لكتاباتهم ان تبقى على الزمن وان تلقى من التغيير والتبديل اقل مما لقيته آداب اية امة اخرى من معاصراتها .

وافكار الهنود تنحدر الينا من طريقين احدهما قديم والآخر حديث . والاثر القديم انتقل الى آدابنا انتقالا غامضاً غير مباشر عن طريق الاغريق .

ففلاسفة الاغريق الاولون . وبخاصة فيثاغورس قد تعلموا من فلاسفة الهنود ان الحكمة هي التـأمل في امر الروح . وان وراء المادة يكمن الجوهر والفكر . وهذا هو اساس فلسفة افلاطون .

وقد امتزج هذا الرأي بالفلسفة الحديثة . وقـد تغلغل في ارواحنا سواء اكنا على وعي بمصدر هذا الرأي ، او كنا غافلين .

ومن الاقوال المأثورة عن الهنود « ان الروح مستقرة في الناس

جميعاً . ولكن ليس كل الناس على علم بهذا » .

اما الطريق الآخر لانتقال آراء الهنود الينا فهو طريق الآداب الغربية . اذ بينا كانت الجيوش الاوروبية تفتح الهند كان طلاب العلم ومحبو الفنون يترجمون الآثار الادبية الهندية وقد اتم عملهم وأكمله، ادباء الهنود الذين تلقوا العلم في جامعات انجلترا . فقد حفزتهم غيرتهم على بلادهم ان يترجموا آثارها الادبية لتقع عليها اعين الاوروبيين فكادت تصبح الهند اليوم كتاباً منشوراً .

ولكن هذا الكتاب واسع الارجاء ممتد الانحاء . اذ هو كتاب من عمل آلاف السنين وليس في استطاعة الكثيرين منا ان يعنوا في قراءته، وان يبالغوا في استقصائه .

وقد اتحفنا العالم « بريان براون » بلمحة من الآداب الهندية تخلب الالباب . في مجلد صغير سماه : « حكمة الهنود » حوى اقوالا مأثورة كما حوى ترانيم واناشيد . مأخوذة من كتاب « Rig Veda » او « الحكمة مكتوبة شعراً » . وهذه الاقوال تمثل اقدم الآراء الدينية التي يسير ملايين الهنود على نهجها في حياتهم . والتي تفتن عقول الغربيين بجمالها ودقة معانيها .

وهناك ما هو اعم فائدة . وهي تلك المقطوعات من الشعر التي وردت في الكتابين الكبيرين من كتب الملاحم الهندية وهما « المهابهاراتا » و« الرمايانا » اللذان ملئا بصور الفروسية وبألوان المخاطرات الجريئة .

وهناك ايضاً الترجمة الانجليزية لاشهر رواية شعرية وهي المسماة « ساكونتولا » للشاعر الهندي « كاليداسا » وقد كان « جوته » يعجب بهذه الرواية الاعجاب كله .

وأكثر المفكرين الهنود اثراً في عقول اهل الهند هو « بوذا » مؤسس البوذية .

وقد سبق المسيح بخمسة قرون واتباعه قد ظهروا اول امرهم في الهند (وقد اضمحلت تلك الديانة في الهند فيما بعد) . ثم في شرق آسيا ووسطها حيث فاق عددهم عدد التابعين لاصحاب الديانات الاخرى .

وكان بوذا مبشراً بتعاليم دينه . وكان كاتباً . وكاتب هذا المقال لم يذكر اسمه الا لان تعاليمه قد تأصلت جذورها في الفكر الاسيوي . فكان هو وكانت الآراء التي نسبت اليه موضوع ادب ضخم . والذين يقرأون الانجليزية لا بد واجدون لذة في قراءة القصيدة المشهورة للشاعر الانجليزي « ادوين ارنولد » التي سماها « نور آسيا » والتي عالج فيها حياة بوذا ومعتقداته في اسلوب له حظه من الجمال والفتنة .

وروح البوذية كما يدركها القارىء الغربي توجد مفسرة تفسيراً جميلاً في كتاب « للافكاديو هيرن » سماه : « فضلات الحصاد في حقول بوذا »

وكذلك توجد ترجمة الآداب البوذية الاصلية . في مجموعة الكتب الانجليزية المسماة كتب الشرق المقدسة The Sacred Books of the East والبوذية لم يعن بها في الامم الغربية الا الفلاسفة والادباء من امثال شوبنهور .

فهي لم تؤثر مطلقاً في افكار الجمهور . ذلك لان المسيحية قد انتصرت في الغرب . وذلك لان العناصر الشرقية في الديانة المسيحية هي ما يستطيع العقل الغربي ان يجد فيه غذاءه الروحي .

والبوذية بعيدة جداً عن العقل الغربي وذلك لامعانها في « الشرقية » فهي تقول ان اصل الآلام كلها هي الشهوة . ولذلك فلكي يجتنب المرء الالم يجب عليه ان يفك عنه اغلال الشهوة وقيودها .

وهي تقول ايضاً ان خاتمة المطاف في هذه الحياة الدنيا هو النسيان .

(وبعد) فقد اصم العالم المسيحي اذنيه عن سماع صيحة كبرى لديانة اسيوية كبيرة اخرى هي الديانة المحمدية .

وفي الحق ان امم اوروبا واتباع النبي . كانوا دائماً - لاسباب ليست كلها تمت الى الدين - في حرب مستمرة . ولم يصل العراك بعد الى نهايته .

وقد بدأ العرب منذ القرن السابع الميلادي. يقومون بالغزوات والفتوحات تحت راية محمد وخلفائه . فاجتاحوا آسيا وافريقيا . وظل الناس يدخلون في دينهم . بالسيف تارة وبالحجة تارة اخرى . واليوم يدين بهذا الدين نيف ومائتا مليون من البشر . والقرآن هو الكتاب المقدس لدى اتباع ذلك الدين . وهو مجموعة من التعاليم التي اوحيت الى محمد. ونزلت مفرقة .

والقرآن هو اكثر كتب العالم قراء ودارسين. ذلك انه مفروض على كل مسلم ومسلمة ان يقرأوه .

وهناك ترجمة للقرآن بالانجليزية من عمل J. M. Rodwell وهي ترجمة قد تفوق الترجمة التي سبقتها . والتي تعب في فهمها « كارليل » .

والمقال البليغ الذي كتبه « كارليل » في كتابه « الابطال » عن محمد هو بيان شامل عن عظمة محمد سار في كتابته « كارليل » على نهج واضح من النزاهة والعدل .

ويرى كارليل ان القرآن عسير الفهم لدى الاوروبيين ويراه كذلك ترديداً لاصداء الحياة ، والشرف .

ويقول « كارليل » ان الصدق في اجلى معانيه . والاخلاص في ابهى مجاليه هما لحمة القرآن وسداه .

وان كتاباً اهتدى بهدية ملايين من البشر منذ اكثر من ثلاثة عشر قرناً لهو كتاب له جلاله ، وله عظمته بين كتب العالم .

ويبدي بعض الغربيين اعجابهم بتلك المجموعة الجليلة من القصص . الموسومة بقصص « الف ليلة وليلة » او كما يسميها الافرنج « مجالي اللهو في الليالي العربية » .

وقد عرف الاوروبيون هذا الكتاب لاول مرة عن طريق ترجمة فرنسية في اوائل القرن الثامن عشر . فاصبح كتاباً محبباً الى كل قارىء . ثم عم انتشاره متنقلاً من بلد الى بلد .

فقصة علاء الدين ومصباحه . وقصة السندباد البحري . وقصة « علي بابا والاربعين حرامي » كلها قصص معروفة لابطال اوربا جميعاً . وهم يعرفونها كما يعرفون قصة « هانس كرسيتان اندرسن » .

وذلك الخليفة العظيم . خليفة بغداد . هارون الرشيد . مهما يكن مقامه في التاريخ . قد اصاره ذلك الكتاب ملكاً عظيماً في عالم الخيال .

ولا شك ان قصص « الف ليلة وليلة » التي تفيض بالخيال الاسطوري وبألوان السحر ، قد اعجب بها قراؤها جميعاً اعجاباً بلغ حد الفتنة .

ويبدو كتاب « الف ليلة وليلة » للقراء الغربيين (ويؤيدهم في ذلك قراء الادب العربي) انه كتاب قد ضم بين دفتيه موجزاً للحياة في مظاهرها اليومية . في بلاد فارس ومصر والهند اذ ان كثيراً من حكاياته مقتبسة من مظاهر حياة تلك الامم .

والشعر الشرقي الذي كان لابعد الاثر واقواه لدى الامم الغربية هو الشعر الفارسي . وقد شهد للشعر الفارسي بالتفوق الترك والعرب .

ومن الشعر الفارسي . بل من شعر الشرق كله . يلم القراء الانجليز الماماً تاماً برباعيات عمر الخيام . وترجمة « ادوارد فتزجيرالد » لتلك الرباعيات قطعة من الادب الانجليزي الذي اوفى على الغاية في الفصاحة .

وشاعر قصص الحماسة الاكبر في فارس هو الفردوسي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي . وقد كتب « الشاهنامه » او « كتاب الملوك » وهو تاريخ فارس منذ اقدم العصور . وهو عمل ضخم . ويقول العارفون . انه يحتوي على قصص وعبارات هي آية في الجمال والفن (ويبدو ان ليس هناك ترجمة سهلة لهذا الكتاب بالانجليزية) .

ويمتاز هذا الديوان على سائر دواوين شعر البطولة في العالم بانه يكاد يكون الديوان الوحيد الذي اقر له قدمه بانه شعر الحماسة القومية . وصاحبه ما زال حياً .

ومن اجدى قصائد هذا الديوان اخذ « ماتيو ارنولد » موضوع قصته التي سماها « زهراب ورستم » .

وقيمة الشعر الحماسي هو انه يكشف عن تقاليد امة من الامم او سلالة من السلالات .

والى جانب « عمر الخيام » الذي اشبع المترجمون شعره ترجمة وبحثاً هناك شاعران فارسيان ممن يتغنى بقصائدهم هما السعدي وحافظ الشيرازي .

وأشهر كتب السعدي « البستان » و « كلستان » (اي حديقة الورد) ويمكن قراءتهما في اللغة الانجليزية . وهما يحويان الجاثاً فلسفية وخلقية . لم تبلغ من العمق حداً يبعث الملل . وهي لوضوحها لم تفقدها الترجمة حسنها وحلاوتها .

والفضل في تعريف القراء الانجليز بالسعدي يرجع الى « ادون رنولد » الذي ترجم جزءاً من كتاب « كلستان » فأحسن الترجمة واجادها .

وكان حافظ الشيرازي اقل استمساكاً بعرى الاخلاق من حميه السعدي .

والسعدي اقرب في روحه الى « الخيام » فقد كان يحب الخمر والنساء والغناء ومشاهد الطبيعة .

ولقد زاد على « عمر » الذي كان قدرياً متشائماً . فكان حافظ — في بعض الاحيان على الاقل — يلتذ مباهج الحياة ومسراتها .

القاهرة مبارك ابراهيم

صورة وصفية

ايفا

بقلم وديع فلسطين

☆☆☆

تهيم بالأدب هيام النحلة بالورد ، تحب ان ترشف منه شهده، وتعرف كيف تختار منه اقاحيه ، وتقبل عليه بكل مشاعرها كمن وجد نبعاً بعد طول ظمأ او كمن نزل سهلاً اخضر يانعاً بعد حياة مديدة امضاها في القفر . واذا عشقت صاحب قلم ظل هذا العشق ديناً لها لا ترجو له حولا ، ولا عنه تنصرف . فالكاتب المترف العبارة الانيق اللفظ معشوق لها وان لم يدر، تتقصى آثار منشوراته ومطبوعاته وتجد في البحث عنها اينما كانت وحيثما طاب لها ان تكون فتقرأها وقد تعيد القراءة والتجويد ولا تمل .

هذه خلة « ايفا » الغلابة ، وصفتها المعروفة المأثورة .

وآية اعجابها بالادب والادباء انها جعلت دارها ندوة للآراء والاقلام، فهذه كتب تنتظمها خزانة واحدة ، ولكنها كتب فيها من التنافر والتباعد والخلف ما قد يستدر سخط امناء المكتبات الذين يختارون جناحاً لكل باب ، وينتبذون ركناً لكل موضوع ، فالفلسفة في اول الدرج ومعها الدين وعلم النفس، والاقتصاد في المرتبة الثانية، ويلي ذلك السير والعلوم والقصص بانواعها وهلم جرا . فايفا تحب ان تقرأ وان تمعن فيها ، ولكن لا تسلها عن الترتيب والتبويب والتنسيق فما هذا يعنيها.

واذا كان الادب يفهم على انه تجاوب بين القارىء والمقروء له والمقروء فيه ؛ فان ايفا تضع لنفسها الفلسفة التي تؤثرها في هذا المضمار . فاذا طالعت ، وهزها الطرب عند الاطلاع ، بادرت الى آلة باترة تقص هذا المقال ، وعمدت الى لصق المقال على جدار الحجرة تتاوه وتتلوه ما دامت تلاوته تذهب السأم، حتى اذا ملت الفصل انتزعته لتحل آخر محله .

تلك فلسفتها في « التجاوب الادبي » فهو تجاوب محلي بحت ، يكون من ناحية واحدة وقد يدوم طويلاً او ينتهي بعد زمان قصير، والامر متروك للحالة النفسية عند المطالعة وللجو الذي يخالط المرء عند التلاوة.

ولكن التجاوب قد يخطو خطوة اخرى فيها شيء من الايجاب ، تقرأ ، فتنتعش وتطرب ، ثم تهتز وتنتفض الى قلمها وورقها تكتب رسالة الى الاديب الذي احدث في نفسها مثل هذا الارتياح، تخاطبه فيها باسلوب فكه كثير الملح ،وتبث له ما تريد ان تبثه صريحة جريئة قادرة . حتى اذا ما بلغت من الرسالة منتهاها ، وارادت انتمهرها بامضائها، خانتها شجاعتها ولجأت الى المستعار من الاسماء والمستتر من الكنايات ، وخلعت على نفسها هاتيك الاسماء والكنايات ، فاذا عن للكاتب الاديب ان يرد على رسالتها لم يدر الى اين يوجهها ، وكيف يكفل لها بلوغ مأربها. فلا يكون لرسائل ايفا —وهي كثر— رد ولا جواب ، وهذا ما يدخل بلبلة في نفوس المعجب بهم الذين يرون انفسهم عاجزين عن مخاطبة هاته الفتاة مباشرة، وسبيلهم الوحيد الى ذلك هو الصحف الادبية والدوريات المتداولة ، ولكن انى لها ان تفسح المجال لمخاطبة فرد ، ومخاطبته في صراحة ومجاهرة وحسن بيان .

ولكن « ايفا » تتحرج عن الكتابة ، وتخاف القلم كثيراً. ولعلها تخافه لان القلم اذا جرى على الطرس افشى ما قد يريد المرء حجبه. وما ذلك لعلة في القلم، بل لان النفس اذا جرت على سجيتها قالت كل شيء وافصحت عن المكنون من الخواطر والعواطف. وهي ترى كبار الادباء يجهدون كثيراً ليجعلوا كتاباتهم منسجمة على غيرهم من الشخوص الخيالية الواهمة ، ولكنهم من حيث لا يدرون يتحدثون عن انفسهم ويفضحون خبيئات صدورهم ويكتبون ما لا حيلة لهم في كتمانه.

فالشاعرة اذا امسكت قلماً لتدون خاطرات نفسها ، لا تقدر ان تجرد نفسها من عاطفة الحب والبغض ، وعاطفة الامل والالم . وحتم عليها، وان كرهت ، ان تبوح بكل خلجة تهز فؤادها، والفؤاد عند متذوقي الادب شديد الحساسية سريع التأثر .

ولذلك تحجم « ايفا » عن امتشاق هذا الحسام ذي المداد، فقد يأمن اليه الكاتب مرة ومرتين وثلاثاً ، ولكنه لا يكون

بعد ذلك بعصمة من الكبو ، وكبوات الاقلام ليس من اليسير محو آثارها ، لانها تكون بمرأى من الوف القارئين وبمسمع من ذان لا حصر لها تصيخ في ارهاف .

وان ايفا باحجامها طائفة مختارة عن نشر خواطرها ، تئد ادبها بنفسها ، وتقتل موهبة تحتاج الى اذكاء وانماء ، وتجعل التجاوب حبيس قمقم لا يغادره الى دنيا من الحيوية فسيحة طليقة .

وقد يقول قائل ان هذه انانية لا يسلم منها كل معتز بثروة مقدورة ، لانه يريدها لنفسه وحده لا يشرك فيها احداً ، ولا يعرضها في السوق عرضاً تتزل المزاحمة من قدره ، وتمسخ جماله ايد غريبة دانت لها المطابع ودور النشر . وهو محق في هذا القول لان للادب نكهة يختلف الناس في تذوقها وفي الاستجابة لها فان استطابوا المقطوعة الادبية سخوا على كاتبها بالمديح ، وان لم تنل منهم رضاً ، كالوا له اقداح الذم المرير . والاديب الذي يخوض معترك الادب لا سبيل له الى اجتناب الطريقين ، فهو من بعض في مقام رفيع ، وهو من بعض في هوة ذليلة . وما تريد « ايفا » ان تضع نفسها موضع التجربة ، تستجدي الناقمين حتى لا ينقموا ، وتسترضي المعجبين كي لا يتكأكأوا حسبها ان تقبع في برجها العاجي ، تقرأ وفق هواها ، وتكتب لنفسها ما يطوع لها القلم كتابته ، وتحتفظ به بعد ذلك بعيداً عن الاضواء لا يراه الا حفنة من خاصة الخاصة ، ولا يدري نبأه الا قلة من رواد ندوتها .

« مي » خلا مكانها ، ولا يزال حتى اليوم خالياً في مصر ، وان كنت ارشح لمثله الاديبة السورية الجليلة السيدة وداد سكاكيني .

و « ايفا » تستطيع ان تكون شيئاً ، وتستطيع ان تملأ فراغ « مي » لو نضت ثوب التردد ، وأقدمت تجابه الناس بدرها المنثور ، وافكارها النيرة ، وخيالها المنسرح ، وروحها الصادقة الصافية ، وذهنها المترف ، وشمائلها الحلوة ، فعندها الموهبة ، وعندها الزاد ، وعندها التجربة الموفقة ، وعندها الخصوبة الفكرية ، وعندها الهوى الادبي — لا الهوس — وحسبها ان تهز القلم كما تهز الشجرة ذات الثمار الناضجة ، فيجيء بفاكهة شهية وفيرة كلما ذاقها احد استزاد منها .

القاهرة — وديع فلسطين

مررت على الجسر

ايه . . ايتها الورقة الذاوية وبا شجرة الاقحوان الاصفر
ايه . . لستُ . . بعد ، بالذي تحبين . . . ولكنني سأبقى ابداً ذلك الذي احببتِ
(اغنية رومانية)

☆

مررت على الجسر
مهد الهوى
هنالك حيث التقينا مساء
اسير عليه كأني وجدت
بحضن الربيع بقايا شتاء
غفا متعباً من توالي السنين
عليه ، ومل طويل الثواء
عجوز تثاءب فيه البلى
ودبّت عليه طيوف الفناء

مررت على الجسر
حيث التقينا
افتش عن امسي الضائع
لعل شذا منك باق عليه
واسطورة من هوى ذائع

لعل على الافق طيف ابتسام
تهادى على ثغرك الوادع
مشيت وبي ظمأ للسراب
وشوق الى امد خادع
فلم الق الا فراغاً اصيح
لديه وما لي من سامع
اذا ما ضحكت ، سمعت الصدى
يدمدم في الخشب الهاجع

ولما رجعت ، سريع الخطى
اميل عن الافق اللامع
دنا حلمنا الطفل مني . . وعاد
يكفكف من طرفه الدامع

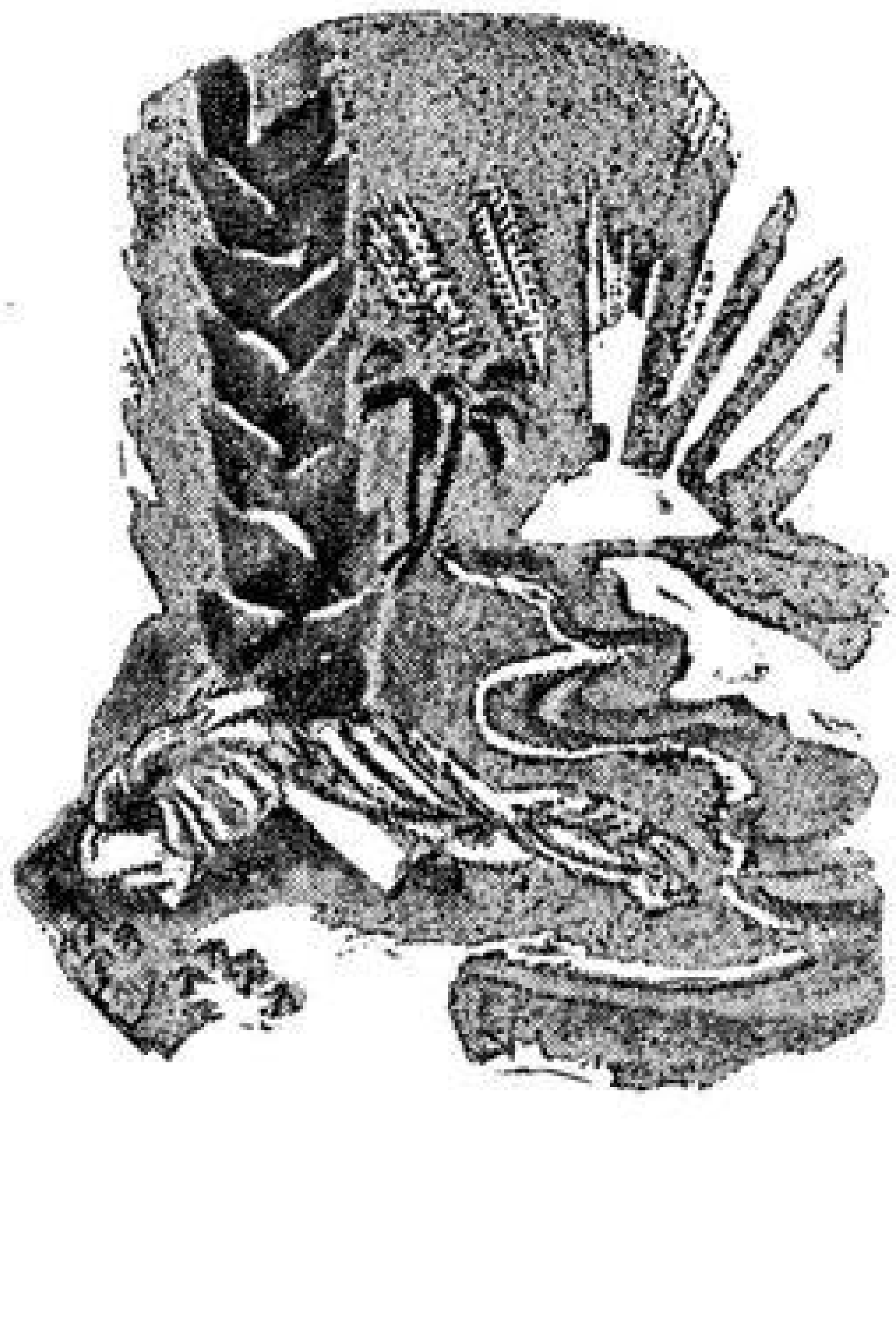
بغداد — اكرم الوتري

توحد

الى التي قالت :

من منا الذي اقتحم الصومعة
على الآخر

لالبير أديب



لم يقتحم احدنا الصومعة على الآخر
كنتِ في صومعتك تنتظرين
وكنتُ في صومعتي انتظر

.. كثيرون هم الذين مرُّوا بنا ولم يطرقوا الباب
وكثيرون هم الذين طرقوا الباب ولم يدخلوا
وكثيرون هم الذين دخلوا ، ولم يجدوا احداً فخرجوا

ذلك انني كنتُ حقاً بحاجة الى يوم...
تخرجين فيه من صومعتك
وتأتين فيه الى صومعتي ...

... وعندها فقط اصبحت الصومعة واحة
... ان الذي يأخذ يحب
ولا يحب من لا يأخذ
والذي اصبح في الواحة بعد طول التيه
لا يقوى على العطش...
لا يقوى على الحرمان...

أريد ان تعي روح معنى الكلمة...
التي لم الهب بها بعد شفتي
اعيش في غربة...
كمن وُجد فجأة حيث لا يريد ان يكون
... ثم اجبر ان يريد ما كان

فاذا تلاقت روحان
وفهمت كلتاهما معنى التلاشي والاضمحلال
الواحدة في الاخرى...
كان الخلق والابداع
كان الازل والابد...

لا تسأل بنفسجة كيف نبتت ؟
كم عاشت ؟
انما تقول البنفسجة :
انا ندبَّة ، يللني الفجر
ولندى الفجر على اوراق البنفسج
الف لون ، في الف نغم
في الف معنى
لا تدركه غير فراشات الفجر...
الظامئة الى أكسير النشوة الكبرى ...
التي فيها مسحة من تلك العربدة العبقرية
التي هي الله...

لتمرَّ يدك على جبيني المتعب في حنان
ولتطبع شفتاك عليه اشراقة الايمان بالالم
الايمان بي
الايمان بك
الايمان بواحد :
هو انتِ وانا

حب متشردة

لجي دي موباسان

ترجمة منير بشارة عبود

قصة

كان هذا عقب انتهاء تناول الطعام على مائدة المركيز برتران في حفلة افتتاح موسم العيد . وكان الجلوس حول مائدة العشاء المزينة بالثريات الكهربائية الحافلة بمختلف انواع الفواكه والازهار احد عشر رجلاً وثماني نساء وطبيب الضاحية .

وكان محور حديثهم يدور حول الحب .. ذلك الموضوع الازلي وثارت مناقشة حامية حول اذا كان في استطاعة الانسان ان يحب بقوة واخلاص مرة واحدة او اكثر . تضاربت الآراء واختلطت وجهات النظر وسيقت الامثلة منها ما يؤيد هذه النظرية ومنها ما يؤكد تلك . وادعى الرجال جميعاً بان الحب كالمرض يعاود الانسان الواحد مراراً عديدة حتى انه في بعض الاحايين يكون فتاكاً حين تعترض طريقه اي عقبة .

اما النساء فلم يكنّ من انصار هذا الرأي ولما كن يعتمدن في آرائهن على الخيال اكثر من التبصر اكدن بقوة بان الحب ، الحب الحقيقي ، الحب الجارف لا يصيب المرء الا مرة واحدة . فالحب كالصاعقة يصيب القلب فلا يدعه بعد ذلك الا خاوياً فارغاً حتى انه يمنع اي عاطفة قوية من ان تنمو جذورها فيه .

فقهقه المركيز ضاحكاً وعارض هذا الاعتقاد باسلوب مرح قائلاً :

— اؤكد لكم بان المرء في استطاعته ان يحب بقوته وروحه اكثر من مرة . لقد ذكرتم لي امثلة عن بعض اشخاص انتحروا في سبيل حبهم كبرهان دافع على عدم استطاعتهم الوقوع في حب آخر وجوابي على ذلك هو انهم لو لم يرتكبوا جريمة الانتحار هذه لاسعدهم الحظ ثانية في الوقوع في حب آخر بعد ان تكون جراح قلوبهم قد اندملت .

ووقع اختيار الجماعة على طبيب الضاحية ليكون حكماً وطلبوا منه ان يدلي برأيه . فقال الطبيب بعد لحظة تفكير :

« لقد شهدت قصة عاطفة دامت خمسة وخمسين عاماً لم ينهها غير الموت .

فقالت احدى الحاضرات مقاطعة « كم هو جميل ان تسعد المرأة بحب على هذا النحو . فتعيش في احلام حب عميق هانيء خمسة وخمسين عاماً ! حقاً ما اسعد المرأة التي تحاط بمثل هذا الحب !

فضحك الطبيب وقال : « معذرة يا سيدتي فقد اغلق عليك فهم ما قصدت فالحقيقة ان الشخص الذي سعد بهذا الحب المثالي كان رجلاً لا امرأة . رجلاً تعرفينه ، هو شوكيه صيدلي القرية .. واما المرأة فانت تعرفينها ايضاً ، فهي العجوز الفقيرة التي تصلح كراسي الخيزران والتي تأتي الى هذا البيت كل عام » !

وفتر حماس النساء لسماع القصة وارتسمت على وجوههن علائم الاحتقار وخيبة الامل ، كانما الحب لم يخلق الا لهذه الطبقة الناعمة التافهة لتثير قصصهن اهتمام زميلاتهن المترفات !

. واردف الطبيب قائلاً :

« منذ ثلاثة اشهر دعيت لعيادة

امرأة عجوز كانت تحتضر . وكانت قد جاءت الى هذه القرية في عربتها القديمة التي يجرها جواد هزيل والتي كانت تستعملها مسكناً لها، وكلباها الاسودان الكبيران اصطحبتها معها ليكونا لها رفيقين وحارسين. فوجدت قسيس القرية بجانب فراشها فاختارتنا لنكون اوصياء على وصيتها ولكي توضح لنا ما جاء في الوصية انشأت تسرد لنا قصة حياتها . . قصة لم اسمع اكثر منها طرافة وغرابة .

كان ابواها يشتغلان في اصلاح الكراسي البالية متجولين في طول البلاد وعرضها فكانت طفلتها الصغيرة ذات الثياب الممزقة الرثة لا تعرف لها بيتاً ثابتاً تستقر فيه . فكان من عادتهم ان يقفوا على جانب الطريق عند مداخل المدن التي يمرون بها فيربطون جوادهم الى اقرب شجرة ليرعى، اما الكلب فيأخذ طريقه الى اقرب مكان هادئ لينام. بينما تذهب الطفلة الصغيرة لتلهو وتلعب. اما الوالدان فيجلسان تحت ظل شجرة كبيرة وقد انهمكا في اصلاح الكراسي وتجديد خيزرانها .

وحين كبرت الطفلة صار والداها يبعثان بها لجمع الكراسي التي في حاجة الى اصلاح في البيوت القريبة . فكانت في طريقها تتعرف على من تلقى من اطفال لتلعب معهم واذ ذاك تسمع صياح والديهم منتهرين اطفالهم لاختلاطهم واشتراكهم باللعب مع صبية حافية القدمين .

وذات يوم وكانت قد بلغت الحادية عشرة — بينما كانت تجتاز احد الشوارع التقت وجهاً لوجه مع الطفل « شوكيه » يبكي بحرقة والم خلف احدى المقابر من اجل بضعة دريهمات سرقها بعض الرفقاء الخبثاء . فالدموع التي كان يذرفها هذا الطفل المترف كانت تحرك قلبها وتثير شجونها . فكانت تقترب منه لتعرف سبب بكائه حتى اذا اخبرها عما يبكيه افرغت في يده جميع ما ادخرته من دريهمات فكان يتقبلها بكل هدوء مجففاً دموعه المنهمرة على وجنتيه بينما راحت لشدة فرحها تهوي على وجهه بقبلاتها فلما رأته انه لم يصدها او يعنفها اعادت الكرة فتقبله مرة اخرى ثم تتركه وتجري بكل ما فيها من قوة .

ماذا دار في رأس الصبية بعد هذا الحادث ؟ هل احب قلبها هذا الغلام الابله لانها ضحت من اجله بثروتها ام لانها امطرته بوابل من قبلاتها ؟

وعاشت شهوراً وهي تحلم بهذا اللقاء مع فتى احلامها خلف المقبرة ودفعها الامل ان تلقاه مرة اخرى الى سرقة الدراهم من والديها . وعندما استقر تجوالهم مرة اخرى في هذه القرية كانت قد ادخرت لحبيبها مبلغ فرنكين ووجدته بعد ان بحثت عنه طويلاً واقفاً خلف قوارير الالوان المختلفة في صيدلية ابيه .

واسعدها الحظ بعد عام لمقابلته . فلما قابلته هذه المرة، يلعب مع رفقائه قرب المدرسة القت بنفسها عليه وطوقته بذراعيها وراحت تقبله بشغف وجنون حتى انها اضجرته فلما بدأ يتذمر وضعت في يده كل ما اختزنته من مال وكانت ثروة بالنسبة اليه فتقبلها وهو مأخوذ تاركاً اياها تقبله .

ودامت هذه الحال على المنوال خلال السنوات الاربع المتتالية هي تعطيه ما ادخرته من مال مقابل سماحه لها بتقبيله . لم تكن تفكر الا فيه وصار — هو — ينتظر عودتها بغير قليل من الصبر فاذا رآها قادمة هرع بلهفة لملاقاتها مما يجعل قلب الفتاة يثب بين ضلوعها فرحاً .

ثم اختفى فتى احلامها فجأة فبحثت عنه دون جدوى ولكنها علمت اخيراً ان والديه قد ارسلاه الى الكلية . استنجدت بكل حيلتها ودهائها لحمل والديها على تغيير خط سيرهما والمرور بالضاحية خلال العطلة المدرسية .

ونجحت في خطتها هذه ولكن لعام واحد ، فقد مر عامان متتاليان لم تره خلالها. وحين وقع بصرها عليه كادت ان لا تعرفه. اذ كان الفتى قد تغير كثيراً فاصبح شاباً يافعاً، بهي الطلعة، رشيق القوام يبدو انيقاً بالمعطف المزين بالازرار النحاسية اللامعة .

وحينما مر بها تظاهر بانه لم يشاهدها فمضى في طريقه شامخاً بانفه وهز تصرفه هذا اعصابها فقضت يومين وهي تبكي بكاء مراً، منذ ذلك اليوم وهي تتحمل آلامها دون ان تشكو او تتذمر . وكانت كلما عادت الى الضاحية ومرت امام الصيدلية لا تتجاسر ان تنحني له محيية كما انه لم يكن ليتنازل برفع عينيه اليها .

ثم توفي والداها فورثت عنهما صناعتهما. وذات يوم بينما كانت تتجول في القرية لمحت امرأة خارجة من صيدلية شوكيه وقد تأبطت ذراع حبيبها . انه قد تزوج . ولم تكن هي الا امرأته .

وفي ذلك المساء القت بنفسها في البركة لكن احد السكارى كان ماراً من هنالك فلما رآها تتخبط في مياه البركة سارع اليها وانتشلها وحملها الى اقرب صيدلية . وكانت صيدلية شوكيه .

فقام شوكيه باسعافها وبعد ان نزع ثيابها عن جسمها دلكه برفق ولين متجاهلاً بانه يعرفها . . ثم قال لها بصوت جاف « يا لك من حمقاء او هكذا تتصرفين تصرف المجانين ؟ » .

وكانت هذه الكلمات كافية لاستعادة وعيها. ألم يتحدث اليها بصوته الحبيب الى قلبها . ولم يطلب اجرة لخدماته التي قام

بها ولكنها الحت عليه بشدة ودفعت اليه مبلغاً حسناً .

وقضت كل اعوامها على هذه الوتيرة تصلح كراسي الخيزران وتفكر في حبيبها شوكيه. واعتادت كل عام ان تبتاع من صيدلية شوكيه ما يلزمها من الدواء حتى يسنح لها ان تراه عن قرب وتستمتع بحديثه العذب وتدفع اليه ببعض مالها المدخر . حتى كان الربيع الماضي حينما لفظت انفاسها بعد ان قصت علي قصة حياتها واوصتني بان ادفع الى حبيبها بكل مالها المدخر – وقدره الفان وثلاثمئة وسبعة وعشرون فرنكاً – ذاك الحبيب التي من اجله تعبت وذاقت العذاب لعله يذكرها ولو مرة واحدة بعد موتها .

وفي صباح اليوم التالي من وفاتها توجهت الى بيت شوكيه فوجدته وزوجته قد فرغا من طعام الافطار وجلسا متقابلين ينظر كل واحد منهما الى عين الآخر .

فأخبرتهما بمهمتي بصوت حزين مؤثر مقتنعاً بانهما سيأخذان في النشيج والبكاء، ولكن ظني خاب . ولما وقفا على تفاصيل القصة قصة حب المتشردة والفقيرة التائهة لشوكيه ضرب برجليه الارض غاضباً ثائراً كانها اضرت بسمعته وخدشت اعتباره هذه الاشياء التي يعتز بها اكثر من الحياة ذاتها .

واما زوجه فثار غضبها وضاق صدرها حتى ليحسب ان انفاسها ما تكاد تهبط او تعلو كانما تخلعت اضلاعها ومادت من مكانها ثم انحدرت تريد الالتصاق وصاحت اخيراً بعصبية ظاهرة «الشحاذة! الشحاذة!» وجعلت تكرر هذه الكلمة مراراً وتكراراً بعد ان عجزت ان تجد كلمة غيرها تفوه بها .

فنهض بعصبية وجعل يذرع ارض الغرفة بخطى واسعة قائلاً :

« فكر في الامر جيداً يا دكتور ! . انه لشيء فظيع يحدث لرجل! اواه لو علمت به حينما كانت على قيد الحياة لطلبت القبض عليها وايداعها السجن » .

وصعقت لما رأيت نتيجة محادثاتي معهما وروح السخرية التي تسيطر على الزوجين فلم ادر ماذا اقول او افعل . ولكن كان علي اتمام مهمتي التي جئت من اجلها فقلت: « لقد كلفتني ان اسلمك كل ما لها وتبلغ قيمته الفين وثلاثمئة فرنك . وقد ظهر لي ان حديثي قد ساءك فاني اقترح ان توزع هذا المبلغ على الفقراء ».

ونظر الي الزوجان نظرات ذليلة ضعيفة . فأخرجت النقود من جيبي وكانت منوعة من شتى البلاد . وخليط من القطع الفضية والذهبية .

ثم سألتهما قائلاً : ماذا قررتما ان تفعلا بهذا المبلغ ؟

كانت مدام شوكيه اول من تكلم: « يبدو لي انه من المستحسن ان نحترم رغبة المرحومة ومن الصعب ان نرفض ما اوصت به » .

اما الزوج فقال: « في وسعنا ان نشتري بهذا المال شيئاً لاطفالنا الصغار » .

فقلت في لهجة جافة معقباً: « كما تريدان »! . . . فاستطرد قائلاً اعطنا المال ما دامت قد عهدت اليك بتسليمه الينا ونحن ننظر في الوجوه التي سننفق فيها المال .

فوضعت المال ثم انصرفت . وجاءني شوكيه في اليوم التالي وقال: لقد تركت المرأة عربتها فيما اذكر فماذا تنوي ان تفعل بها ؟»

لا شيء . . خذها اذا شئت .

« بالضبط » فاني سأصنع من اخشابها فرناً للمطبخ .

وهم شوكيه بالانصراف ولكني استوقفته قائلاً : « لقد تركت ايضاً جواداً وكلباً فهل تريدهما ؟».

ففكر ملياً ثم قال: « كلا ماذا اصنع بهما؟ تصرف فيهما كيفما تريد» :

ثم قهقه ضاحكاً ومد لي يده مصافحاً . ان الطبيب في قريتنا يجب ان يكون على علاقات طيبة مع صيدلي القرية .

احتفظت بالكلاب في بيتي . اما القسيس الذي تولى دفن المرحومة فقد اخذ الجواد . اما شوكيه فقد ابتاع بالمال الذي اعطيته له خمسة اسهم مالية من اسهم السكك الحديدية . .

« ذلك هو المثل الاعلى للحب العميق الذي صادفته في حياتي ».

وصمت الطبيب . اما المركيز فقد طفرت الدموع من عينيه وتنهد قائلاً: « حقاً ان النساء هم وحدهن اللاتي يعرفن كيف يحببن »! . .

منير بشارة عبود

حزن اولمبيو

عن فيكتور هيجو

•

اطل والافق قد رقت حواشيه ، يمشي وئيد الخطى في ظل واديه
حيث المنى رفرفت بالبشر وانتحرت على ربوع الهوى في سفح ماضيه
والشمس في الافق النائي قد انهمرت منها الاشعة تنزو من اقاصيه
فاغرورق المرج بالاضوا، واشتعلت جوانح العطر وارفضت اواذيه

وكان جو الخريف الطلق في غرق من الفتون زهت بشراً ضواحيه
والسهل يعبث في اقدام سلسلة من الخمائل تاهت في روابيه
تشوبها صفرة خرساء كالحة والطير تذرو اناشيداً تواسيه
وجوهها خشّع لله ذاهلة ترنو الى الملأ الاعلى تناجيه
كأنها عن بني الانسان تخبره شيئاً يخفف عنها ما تعانيه

اراد ان يرجع الماضي بروعته حتى يرى كل شيء من مجاليه
يرى الغدير بقرب العين مصطفقاً او يشهد الطلل البالي وما فيه
فاين هي سرحة الدردار أين مضت واين وادي الصبا؟ جفت سواقيه
واين هي خلوات الحب في كنف الغابات قرب التي كانت تناغيه
واين تلك التي في ظلها غمرت روحيهما قبلة ، شقت مناحيه
فغاب عن كل شيء مع حبيبته وراح يسبح في اجواء باريه

لقد تساءل عن مأواه حيث بدت مشاهد الحب واخضرت دواليه
وكان يمشي كسيف الوجه تلفحه زعازع اغرقته في مآسيه
كأنه عابر في جوف مقبرة من الاماني وقد هبت تلاقيه
تحذوه في سيره الواني مرددة لحناً فيا ليتنا ندري معانيه !

اثار اعجابه صفو البحيرة اذ تبسم الجو وافترت مراقيه
وانزج تفكيره في جوف قاطرة من المشاهد يحدوها تصابيه
محدقاً بأعالي السُوج مضطرباً لا يستطيع ولوجاً رغم داعيه
كأنه ذلك الهندي منتبذاً من البلاد ، شريداً في بواديه
رانت على قلبه الذكرى فضاق بها ذرعاً وكاد الاسى يطفي مآقيه
مخاطر لفها الماضي بسترته وزجها البؤس في اقصى مهاويه .

وحين رفت عشايا الصمت وانتحرت عرائس الضوء واحمرت اماسيه
احس بالوحشة الخرساء تلسعه بمارج الهم والذكرى تباريه
فراح يجأر بالشكوى ويهتف بالنجوى بقلب غريق في مآتيه :
« يا ايها الالم الجبار قل فانا ذاك الضعيف الذي خابت مساعيه
هل ما يزال اناء العمر محتفظاً بسائل الحب ام اخفاه ساقيه ؟
وانت . يا وادي الاحلام اين مضت اشلاء قلبي فهل ضاعت امانيه ؟
ما للطبيعة بالآمال ساخرة آبت عليه بشؤم لا يواتيه
أمحت لنا ذكرنا ما بالها نسيت وخلفت كل ما يرجى تلافيه
لولا استحالاتها بالقلب ما انقطعت روابط الحب او لاحت خوافيه
فالدهر شيمته التبديل واعجباً لذلك الدهر ما اقسى عواديه !

قد امحى كل ما شدناه من ورق الاشجار للملتقى وانهد بانيه
وان حاملة الاسمين قد قطعت ومأتم الحب قد فاضت مراثيه
وسرحة الورد اطفال القرى عبثوا بها فراح الشذا يطوي اراضيه
ونبعة الغاب شادوا قرب موردها ، ذاك الجدار وقصوا ما يدانيه
كانت تجيء اليها كلما التهبت اطائم القيظ وامتدت فيافيه
حتى اذا بردت نيران غلتها واستيقظ اللهو واهتزت مثانيه
عادت الى المورد الهدار تغرف من سلساله بيد جذلى تحابيه
لله ما كان ابهاها اذا انفتحت اصابع الكف وانبثت لآليه
كأن جنية شقراء قد هبطت تداعب الماء تبدي من دراريه

طريقنا الوعر مرصوفاً غدا فلكم جنباً لجنب سرينا في مطاويه
فينجلي اثر الاقدام مرتسما على الرمال بشكل لست ناسيه
آثار رجليك فوق الرمل تضحك من آثار رجلي هزواً بالتشابيه
مرت عليه مساء وهي آيبة تشكو من الثقل غرقى في التآويه
كانت عليه اذا ما الشوق راودها ترجو انتظاري وترنو من اعاليه

والغاب امسى حطاماً مات معظمه الا بقايا اخضرار في نواحيه
ويلاه ! هل مات فينا الحب وانصرمت ملذة العمر واندكت مآويه
الا تعود الينا ؟ هل يرجّعها شيء الى القلب كي تصفو لياليه ؟
يلهو النسيم بأهداب الغصون ومن عيني دمع الاسى فاضت مجاريه
ومنزلي في ذهول لا يكاد يعي صداقة الامس . من ينسى اهاليه ؟
والآن تعبر هذا الدرب قافلة طروبة الخطو تستقصي نوائيه
فانها مثلنا تجتاز بضع خطى بمركب آه ما اوهى سواريه
فلا يحاول بلوغ المنتهى احد فالحلم متسع شطت مراميه . .

مصطفى محمود

راكب الدابة

مسرحية ذات فصل واحد

بقلم أديب مروة

☆

القلب : يا له من مجرم بحق نفسه ! .. ويا لي من مغفل جرى وراءه .. لقد انتهى كل شيء بيننا ، ونفضت يدي منه ، فليذهب الى الشيطان !

الضمير : وبئس المصير .. ان طغيانه علينا هو الذي جنى عليه .

العقل : يجب ان نفعل شيئاً نتدارك به امر صاحبنا المسكين .

القلب : ألسنا لهذا نحن مجتمعين الآن ؟

الذاكرة : وما ينفع تدارك الامر بعد فوات الاوان ؟ وقد اقترف ما اقترف ، ووصل الى هذا الحد من الهوان والضلالة ! . الم يكن الاجدر بكم ان تلفتوه من قبل الى صرخات الضمير التي طالما اطلقها بوجهكم ، وحذركم بها من العاقبة ؟ ولكنكم تغافلتم .

الضمير : طبعاً هذه نتيجة ما جناه علي : لقد صم اذنيه عن سماع انذاراتي وداسني تحت اقدامه .. وخلفني وراءه اشلاء محطمة .

العقل : حقاً . لقد اوصد ابواب حواسه بوجوهنا ، ولبى شهوات نفسه العارمة ؛ حتى سلبه شيطان جسده قواه الفاظلة ، فاذا بالمتعة التي اجتذبته اليها اوهى من السراب ! ولكن .

القلب : يبدو انكما تحاولان تبرير موقفكما من مسؤولية ما حدث . بيد اني لا استطيع ان اتحامل عليه مثلكما . لقد كان عليلاً فرغبت ان اشفيه ، وضالا فأحببت ان اهديه ، ومحروماً فأردت ان اعطيه . عساه يشعر بنعمة الحياة . ويسمو بروحه الى مراقي الامل والرجاء ، ولكن واحسرتاه !!

العقل : رويدك ايها الاخ . لا تظنن انك اكثر حدباً منا عليه ، ولكننا لم نكن لنبغي في ان يخرج على ارادتنا اولا وآخراً .

الضمير : ان تقريعنا له الآن ليس الا من اجل العودة به الى الجادة السوية ، وبذل المعونة الخالصة لقواه الضالة .

القلب : ولكن اظن اننا اثقلنا عليه اكثر مما يجب .

الذاكرة : وما ذنبه هو المسكين في كل ما حدث اذا شئتم ان ترفعوا المسؤولية عن انفسكم ، فمن يكون المسؤول اذن ؟

القلب : في الواقع اننا جميعاً مسؤولون عن ماضيه وحاضره ومصيره ، والا فما هي قيمة وجودنا في ذات نفسه ؟

الضمير : اذا كان ثمة مسؤول فيما بيننا عما حدث فهو انت ايها القلب الارعن ، اذ كنت تسيطر عليه دائماً ، وتحتال لخنقنا انا وعقله بشتى الطرق ، حتى قدته الى هذه النتيجة .

القلب : انا احتكم للعقل في ما يقوله الزميل .

العقل : اجل .. لقد كنت بطغيانك علينا السبب المباشر فيما وقع ، ولكن ثق ان دورك انتهى الآن وجاء دورنا .

الذاكرة : عفوكم ايها السادة . اني اعلم جيداً ان صاحبنا كان يميل الى القلب فيستهويه فيه حديثه الطلي وينساق معه في كل ما يفعل ؛ حتى استطاع هذا السيطرة الكاملة عليه . ولكن . لمَ لم يحاول احدكما السيطرة عليه من قبل ؟؟

القلب : اجل ولماذا تهاونتما في اجتذابه الى جانبكما ؟ ان سيطرتي عليه لدليل على قوتي وعلى ضعفكما .

العقل : انك تريد قلب الحقائق بدفاعك عن نفسك ! ان المسؤولية لا تقع على من تراجع وهو غير قادر ، ولا ترتفع عمن سيطر وهو باغ طاغ ، ولا تحدد التبعات في نصيب القوة او الضعف او في نتيجة النصر او الهزيمة ، فكم من مرة طغى سلطان الشر

> اسطورة الشرق الحديث : أربعة تألبوا على فتى مستغرق في سبات عميق وقد استلقى على ظهره فوق سرير ساذج : العقل والضمير ، والقلب ، والذاكرة ، وقد اجتمعوا حوله يزجرونه بقوارص الكلم وينحون عليه باللائمة وهم بين مؤنب لا يشفق ، وبين مدافع يختلق له الاعذار .

على عوامل الخير ،ولم يكن ذلك لفساد في الخير او الحق ، او لصلاح في الشر او الباطل .

الضمير : تلك هي سنة الطبيعة التي اوجدت في النفوس على الدوام نوازع نحو الشر اقوى منها نحو الخير . وهذه هي قصة الصراع بينكما .

القلب : لقد قمت بما فرضته علي طبيعتي ،فانتصرت اما انتما فقد اخفقتما في نطاق صلاحيتكما . . . وليس الذنب ذنبي على كل حال .

العقل : دعنا الآن من سفسطائيتك . . ولنعمل على اخراج هذا المسكين مما هو فيه الآن .

الضمير : اجل ، ليس الوقت الآن وقت تبادل تهم او تحديد مسؤوليات !

القلب : اينا العقل ، انا ام هو؟اني ارفض بعد الآن التدخل في شؤون صاحبنا .

العقل : سامحك الله . اود الآن ان ألمّ بالقضية بصورة مجملة، فهل للذاكرة ان تطلعنا على ما علق بها من ذلك ؟

الذاكرة : القضية بسيطة ، لقد احتال على الزمن . واغرى خيول مركبته بالوقوف ، فقعدت عنده حيث يجب ان تسير . وضلت حيث يجب ان تتابع السبيل المعلم . وكانت النتيجة ان اتاح صاحبنا بذلك لنفسه ان تنفلت في مجاهل التيه الشاسعة، حتى صارت تستمرىء التشرد على الاستقامة ، والذل على الكرامة ، والعبودية على الحرية ، وقد ارتدت لباس الخنوع والقناعة بدلا من ان تشدها حبال الطموح واليقظة .

القلب : ارجو من الذاكرة ان تنتقل من التعميم الى التخصيص فتستعين بالوقائع .

العقل : ليس هذا من شأنك (الى الذاكرة) اكملي .

الذاكرة : لقد سلك في مجرى حياته تطوراً معاكساً لتطور الآخرين ، فاذا باللحظات التي اشرقت في فجر ولادته ، تمسي ظلاماً دامساً ، في الوقت الذي تبهر الاضواء الساطعة حياة غيره ، فاذا هو يعيش الآن على بصيص ضئيل من النور . وقد غشيت قوة الظلام الذي عاناه في الماضي ، ابصاره ، فبات يخبط في بحر من الاوهام والتقاليد على غير هدى .

انه افاق كما تعلمون مع الف باء الكون ، وشهد انبثاق النور قبل كثيرين غيره ، بل ولعله ساهم في عملية الانبثاق هذه . ولكن هذه الاضواء الساطعة التي ينعم بها غيره الآن ، انكرته ، ولم تبق لتتعرف عليه . وحقها ان تنكره ، بعد ان انكر هو نفسه ، وحقها ان تتجاهله بعد ان تجاهلها منذ البداية ، لقد سار غيره في ركابها . وظل هو في مكانه يدور في حلقة مفرغة ، واين حظ السائر من القاعد ، وأين نسبة راكب الطائرة من راكب الدابة في مضمار التسابق الدنيوي الحاضر ؟ ؟

القلب : ولكن ما هي جريمته في الموضوع كله ؟

العقل : لنسمع رأي « النيابة العامة » اولاً ، تفضل يا حضرة الضمير .

الضمير : جريمته واضحة كل الوضوح . لقد قصر عن اللحاق بموكب الحرية والنور والكرامة . وبقي من الموكب في مؤخرته . اقعده انطواؤه على نفسه عن الطموح فعاش لاحلامه اكثر منه لامانيه ، وقد هزمته ارادته ، فأصبح مطواعاً اتكالياً سهل الانقياد ، لقد آمن بالتعاويذ و« المكتوب » فقتل في نفسه رغبة الكفاح ومقاومة ما يعيق تقدمه ، الى ان نسجت عناكب الزمن حوله خيوطاً اصبحت على مر الايام كاطواق الحديد لا يستطيع منها فكاكاً . انها عناكب خارجة عن نطاق نفسه . انها تناحر ، وجمود واستسلام : تناحر يفكك ذرات طاقته على العمل والانتاج ، ويفتك بعوامل نهوضه ، ويجعل منه شلواً مقعداً على الدوام . وجمود في التفكير ، والانطلاق السياسي . اما الاستسلام فهو داؤه المزمن والعنكبوت الاكثر فتكاً به من غيره . استسلام الى القدر ، واستسلام الى الماضي ، واستسلام الى من يزعم ترحمه وقد خانه آلاف المرات . واستسلام الى عواطفه وغرائزه البشرية . لقد قضى علينا بذلك ان نعيش في عزلة ، وان نعمل فلا يصل نطاق عملنا الى ابعد من حدود انفسنا .

ايها السادة، ان جريمة المتهم بكلمة اخيرة هي انه رضي لعناصر اجنبية ان تتحكم في ارادته بدلا من ان ينزل على ما تمليه عليه عناصره النفسية الداخلية، فيعمل على ارضائها . ولهذا فاني اطلب الحكم عليه باقصى العقوبة .

العقل : (بعد فترة صمت) هل لدى القلب ما يقوله في هذا الموضوع ؟

القلب : لقد اعلنت رفضي التدخل في شؤونه منذ البداية . ولهذا فاني لااطلب لهسوى الشفقة والرحمة . وارجو قبل ان تصدروا حكمكم عليه ان تحكموا على أنفسكم اولا .

الضمير : ارى القلب يتعدى دائرة اختصاصه !

الذاكرة : ليس المهم اصدار الحكم على صاحبنا بقدر ما يهم ايجاد مخرج لانقاذه من وطأة جريمته ..

القلب : هذا هو المعقول .
ونحن لهذا رأينا ان نجتمع الآن !

العقل : بما انك رضيت بعدم التدخل في شؤونه بعد الآن ، فاني ارجوك ان تترك لنا حرية التصرف بما يرضي النيابة العامة ويقنعني ، ولكي نعمل في سبيل مصلحته اولا واخيراً . فكن مطمئناً .

القلب : اني احتج على هذه المعاملة :

الضمير : صه ! ..

(يتململ الفتى في سريره ضجرا ، ثم يفتح عيونا كالجمر ، وبعد ان يحاول الجلوس ببطء ، يمسك رأسه الثقيل بيدين كليلتين) .

الفتى : أوف .. ما هذا الدوي الصارخ في رأسي .. حتى ساعات الرقاد بت لا أستطيع امتلاكها لنفسي . (بصوت كالرعد) كفى .. كفى .. حسبكم مني يا نذر الشؤم . انتم جنيتم علي . انتم الضعفاء الذين قدمتموني الى هذا المصير ... انتم من رضخ فرضخت ، ثم سكتم فسكت ، واستسلمتم الى مشيئتي ، فاخترت المصير الذي اراده غيركم لي . لقد كنتم في صراع دائم ، وما زالت المنازعات تجتاحكم . حتى في هذه الساعة التي فكرتم بها في خلاصي لم تستطيعوا الاتفاق فيما بينكم . انتم سبب نكبتي . لا اريدكم . آتوني بعقل جديد ، وضمير جديد ، وقلب جديد . اما الذاكرة فلا تستحق غير الدفن .. اليكم عني .. اليكم عني .. (ستار) .

باريس — أديب مروة

حزني

☆☆☆

بي حزن عميق ، مظلم .
يحتضر في ضباب ابتسامي فيضيع .
يرتجف في عطشي .
في خلاء اكتفائي ،
يحتضر فيضيع .
عذب ، حنون ، كانفاس الحبيبة .
كرطوبة الضباب يغمر الازهار .
به سكون .. به دموع . به حنان ، به حنين .
عذب ...
اعذب من آلام المخلص .
فآلامه قوة وظفر
اما حزني فنغم هائم في نسيان .
شعاع يتلاشى في نور ، ضعف يرتعش في حياة .
حزني انين بليد ، بليد ، كالاحلام ، كالرقاد .
انفاس قبور .. لقاء حبيب .. دموع ام .
انين مدنية .
بليد ، بليد ، كالنعاس .
عميق ..
اعمق من حزن المصلوب ،
من حزن الجليلي الساجد في غابة الزيتون .
حزن الناصري حقيقة ، ومعرفة
تعبدون في اوهامكم .
اما حزني فسكون ، لم يتجسد بعد .
في كن او في ظل .
حزني شعور صامت .
يرفعني للخشوع امام كل مظهر من مظاهر الالم
امام الوجوه الملبدة بالاوجاع .

امام التعساء المشردين .
امام العائشين في .. في ليل الوجود .
امام تلك الآلام الصامتة في الكون .
التي تتولد ، تلتهب ، تثور وتنطفىء ..
دون ان يشعر بها احد .
حزني تمرد اشعر به امام كل عظمة وقوة .
في شعر بحقيقة الحزن شعر بصغر العظمة .
غريب حزني ، يخضع للضعف ويتمرد للقوة
حزني دمعة حارة على وجه يضحك .
ابتسامة على شفاه ميت .
صورة لا استطيع ان احددها . اكاد لا اميز خطوطها اللامتناهية في آفاق المظلمة .
شعور اشعر به بارتياح واستكفاء .
وارتواء ونشوة جميلة .
كنشوة الفنان امام لوحة ازلية .
حزني شاعر ينشد في الليل .
وفي صوته انين وشحوب المؤذنين مساء .
قيثارة ساحرة بين انامل عبقري مجنون ...
وهمٌ ... كلما شعرت به ، جمدت دون حراك
علني اتفهم منه شيئاً ، لكنه كان ...
كان سكوتاً يضيع في سكوتي .
هو مساء يعزف بجنون على بقايا قيثارة محطمة ، وانا الشبح الهزيل ، نغم تائه بين اوتارها .
زوبعة اضطرب بها كورقة خريف .
فاشعر بغنائي واؤمن عند ذاك بالوجود .

منير دبس

لمحة من عالم فاليري

بقلم محمد عيناني

☆☆☆

في فاليري تتجلى السمات البارزة للروح الفرنسية ، فلا نرى عند استعراض نتاج هذا الشاعر اجمالاً وتفصيلاً سوى الخصائص الانسانية العامة ، مجردة ومطلقة ، زاخرة بمُثُل الفكر والتعبير . فلطف الايماء ، ولباقة الشكل ، والهمس ، في شعر رونسار (وكلها صفات فرنسية أصيلة) لا يظهر منها في شعر فاليري الا صفاء الشكل في « الغازلة La fileuse » مثلاً ، يواكبه كمال فني لم تعرف الفرنسية له مثيلاً ، ومدرسية في التعابير ، تعبق بالابداع ، وتتضاءل ازاءها مقدرة « هيجو » العظيم وشمول « فرانس » و « جيد » .

ولغة « لامرتين » مثلاً ، في سهله الممتنع ، وقداسة مقاطعه ، وعذوبة جرسه ، وتسامي افكاره وحلم صوره الغامضة ، لا يبقى منها في « فاليري » الا انطواء « نرسيس » (اقرب المواضيع الى مفاهيم لامرتين) على ذاته ، ومخاطبته النبع ، مرآته ، بلغة حالمة ، عميقة ، قوية ، حيرت النقاد والشعراء..

ومن نبل راسين ، وسمو لغته ، وانسجام خلقـه ، واضطرام وجدانه ، لم يبق لنا ، في « فاليري » الا الجمال الشكلي ، ولكن التركيز هنا اقوى ، والعقل يفعل فعله في الابداع الفكري المقصود اما من ميل الفرنسي الطبيعي نحو تقديس المرأة فلم يحتفظ « فاليري » الا بردة عكسية ، فهو ابعد الناس عن عالم المرأة ، وليس علينا الا ان نقرأ « الافعى » او « المقبرة البحرية » لنلمس سخرية فاليري بكل ينابيع الحنان والجمال ، لا المرأة فحسب ، أكان فاليري في حياته الخاصة « بروميثوس » المرأة ؟ لا ندري ، انه وصفهـا في بعض مقاطعه ، بروح خلاقة ، معبراً بلغة صـافية تزخر بالموسيقى والصور « في النائمة » مثلاً ، ولكن تحفظه ، وموقفه الخاص ازاءها ، دلا على ان رمزيته ليست مثل « تلك الخواطر الشقراء » المعشوشبة في قرائح شعرائنا الرمزيين المقلدين ، بل هي على العكس بنت الوعي والتصوف الخالص . ولا شك في ان التجربة ، مهما كانت ، لا تحط من قدر الاديب ، ولكن روح فاليري لم تتقيد بالتجربة حيال المرأة ، فكأنه في هذا ، تلميذ « نيتشه » المخلص .

ان عبقرية فاليري الشاملة ، جنبته الانطلاق ، كشاعر ، في اعقاب استاذه « مالارمه » ، فبقي مخلصاً لذاته ، مقدراً انطلاقات الآخرين ، نحو اكتشاف طرق جديدة للاحساس والتعبير والاداء ، ولئن كان « مالارمه » جاء زمنياً بعد هيراديا Herédia ودى ليل De Lisle فان اثر هذين في شعره ليس خافياً ، انه ليس برناسياً ، ولكنه لا ينسخ البارناس .

ثم انطلقت روحه الشاملة الخلاقة ، تحلق في الآفاق الفكرية اليونانية والايطالية والجرمانية ، فاضاف الى تجربته الخـاصة ، تجارب هوميروس وتيوكريت وصافو ودفنشي ودانت وغوته الخ .

ان الوضـوح ، والبساطة ، والاحساس المرهف ، والتحليل الوجداني ، وتكييف اللغة وفقاً لهذا كله ، صفات لازمت الادب الفرنسي ، والشعر منه خاصة ، من عصر النهضة ! رونسار وبابيف ودى بيلي ، حتى القرن السابع عشر كورناي ، راسين ، فعصر ميلفوا و « باوور لورميـان » و « روسو » و « شينيه » فعصر الابداعيين المشهورين « بريزو » وهيجو ولامرتين وموسه وفيني وغوتيه ، فعصر البارناس : دى ليل ، بانفيل ، هيراديا ، برودم ، الى اوائل عهد المدرسة الرمزية ، بودلير ، فرلين ، رامبو .

وفي اواخر القرن التاسع عشر، ايام اديسون ورينان ونيتشه، بدأ مجرى الشعر يتغير بتغير المفاهيم، وتطور العلوم الطبيعية والفلسفية، وتفاعل البيئة الاوروبية مع الافكار الحديثة، فشروق شمس العلوم التجريبية جعل من الرمزية حركة انطواء، وقوة داخلية نفسية، تغذيها معطيات الفردية المتسامية المتمسكة بمثلها الخالدة.

ومع هذا، ففاليري يلتقي بالارمه وفرلين وبودلير وفرهارن دون ان يتنكر لاي مبدأ سابق، وهو، على كل، نسيج وحده بين شعراء امته، وقد كان الشعراء، في كل زمان ومكان، انبياء يسبقون عهودهم، ويتمثلون المستقبل، وتتركز فيهم بحركة شعورية اولا شعورية، الافكار المدرسية السابقة، فتظهر جنباً الى جنب، مع افكارهم التي عاشوها، وفاليري شاعر يدين للعالم الفكري بالكثير، فهو انساني قبل كل شيء، وقيمه صادرة عن تزاوج تجربتين كبيرتين: الوعي الذاتي، وتبلور ملكة التعبير بالتعمق في معرفة اساليب الادباء والفنانين العالميين الذين قاربوا الكمال في الاداء.

ومن هذا يتبين لنا سبب اعجابه بكل ما هو شامل وعالمي في تاريخ الادب العالمي والفرنسي، فيخصص صفحات كثيرة، في «متفرقاته Variétés» لستندال وبودلير، ويتضح لنا سبب اعجابه الكبير بليوناردو دفنشي وغوته وراسين، ففاليري الناقد ملتقى طرق فكرية، يفسح المجال لاهم النزعات الانسانية.

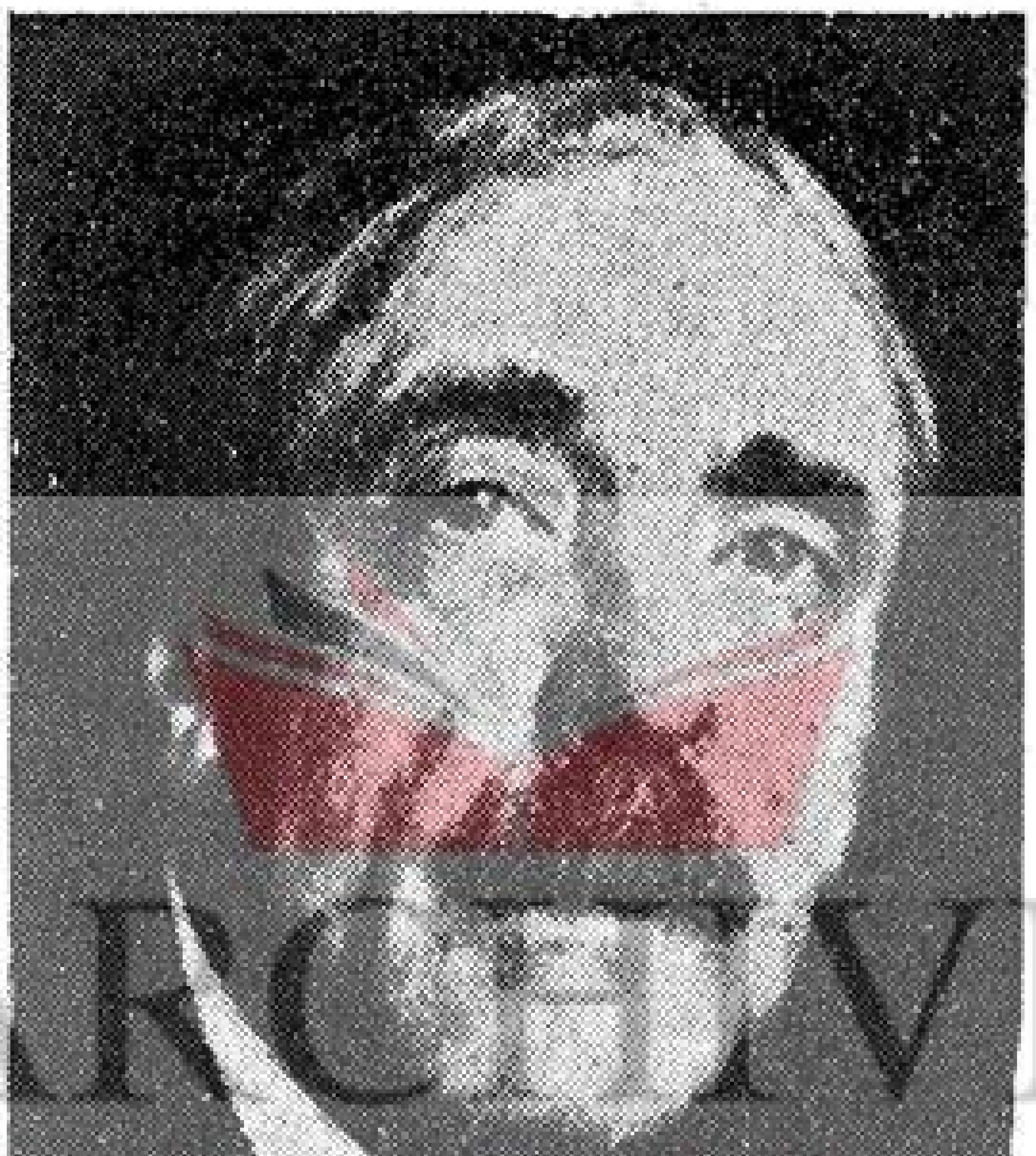
فاذا علمنا هذا غفرنا «لفاليري» بعده عن الروح الفرنسية، وانطلقنا معه، في شمول «مقبرته البحرية» او «نرسيس» او «الغازلة» او «أوبالينوس» او «سحر» او «الافعى» مبهورين من جدة التجربة الانسانية، مأخوذين بجرأة التصور والاداء، وبذلك التهكم الصافي، الذي هو نصف العبقرية.

ففي «المقبرة البحرية» تستطيع ان ترى «لوكريس» و«المعري» و«الخيام» و«طاغور» و«هوميروس» يطلون من خلال جرسها النابض بالسمفونيا، المنسجم مع عمق افكارها، واختلاف امواجها. فما هي هذه المقبرة البحرية التي تختصر فاليري؟ انها ابعد الاشياء عن نعومة «الغازلة» وطهر الوانها، وأعمق جرسها. وانسجام تعابيرها، فالكلمة، في اكثر اشعار فاليري، صوت، ذو لون خاص، يضيء عادة، ويترنم، من مكانه، في سمفونيا الالفاظ التي هي القصيدة، اما الكلمة في المقبرة البحرية، فصوت ضخم، رجراج، يحمل في تموجاته بجة هذه النفس الخالدة التي تجسدت، اذا صح التعبير، انشودة تصرخ لمرأى الموت، وتحوم في اجواء اللانهاية.

ينكشف حلم الشاعر، في المقطع الاول، عن رؤيا واضحة للمقبرة، وسقف تدرج عليه الحمائم، وحولها البحر، دائماً متجدد، اما نفس الشاعر، فتلتقي، راضية مرضية، «نظرة طويلة على صمت الآلهة».

ثم يحال شاعرنا، بأدواته النابضة الحية، تلاعب الظلال والانوار في تلك المقبرة «فاذا بالزمن يتلألأ، والمعرفة تصبح حلماً» ويختلط الضمير الانساني، ضمير الشاعر، احساسه ووعيه وشعوره، عصفة «انا» في كيانه الواعي، يختلط كل هذا، بهدوء القبور وسخرية الفناء، فيرى الشاعر الحكمة مجسدة، فالقبور في نظره، هيكل «لمينرفا»:

وكالثمرة تذوب، وتتحول الى متعة مستعيضة عن وجودها باللذة...
في الفم حيث يموت شكلها
ها انا الآن اتنفس بقايا دخاني
وتغني السماء، للروح الفانية...
تحول الشطآن، الى هدير واصوات



بول فاليري

اذن لقد القى الشاعر، رغم حكمة الفناء، نظرة على الطبيعة الحية، ولكنه بالعين الناقدة الفلسفية، رأى الموت في الشطآن، اذ تتحول الى اصوات، ولم يجد الحياة حيث اراد ان يجدها. فاتجه نحو السماء، ليرى نفسه في «عمقها وحقيقتها»، فاذا به يتغير ويتحول، ويتهيأ للموت، ويرى ظله يمر على منازل الموتى، وفجأة تتغلب الذات، لمدة قصيرة، وتتلاشى حولها الاصوات، فاذا بها هي ايضاً تطلب الموت وتنتظر منه «صدى عظمتها النفسية الذاتية» دون ان تنكر ان الموت المقبل يتعرض للروح بمعان مبهمة ومجهولة، ودون ان تتجاهل انها مقبلة على تجربة جديدة، فهي لهذا قلقة، تتأهب للقاء المجهول.

ثم تطرف العينان، ويتساءل الشاعر، من اعماق تجربته، عن هذه

الغريزة التي تشد به الى الارض، حيث يلتهم التراب العظام النحيلة، فتمر الاسرار الباهرة، على مقلتي الشاعر ويمضي قدماً في طريق العدم.

أهي أحلام من « النيرفانا » ام هي « غير مجد » مصبوبة في بوتقة من التجريد والاحساس السامي المحلق، ام هي رؤيا من رؤى « دانت » ؟ لا ادري !! حقاً ان اعجاز فاليري يفوق كل اعجاز ! وما اشد عجزي عن نقل شيء من هذا المقطع، حيث يصف المقبرة البحرية المنطوية على نار الفناء، قطعة من الوحول، متعرضة للشمس، مغمورة بالمشاعل، ملونة بانعكاسات الذهب والرخام ومياه البحر الزرقاء، على القبور. اقول، ما اعجزني عن نقل هذه المقاطع السامية المرنة النابضة بالقوة وكمال التعبير، انها شيء من « جيمس جويس » مصفى ومقطر .. فما ابعدنا هنا، شكلاً وموضوعاً، عن لامرتين وهيجو وراسين، فالنفس هنا تختلط بالطبيعة، في ساعة وحي وانطلاق، والتعبير عنهما لا يكون الا بمزيج من صوتين موسيقيين يلتقيان ويتنافران في اعماق السمفونيا، كالنفس والطبيعة .. وفاليري يعمد الى الموسيقى في التعبير، دون ان يهمل المعاني، بل هو يأخذ الالفاظ في اوسع وأكمل مدلولاتها، دون ان يترك اللاوعي يسيطر على جو القصيدة، ولذلك يسهل فهم « فاليري » وتذوقه، وتصعب ترجمته.

نعود الى قصيدتنا، وننتقل الى مقطع آخر، حيث يلقي الشاعر نظرة على مقبرته البحرية، مصوراً القبور، فيشبهها « بالخراف البيضاء » الساكنة، المتجمعة، الرهيبة، الساخرة بالاملاك الحومة والحمائم !!

« ان النفس التي ترى هذه الرؤيا يصبح مستقبلها كسلاً، وكل شيء هنا محترق، متلاش، متطاير في الهواء، خاضع لسر مجهول، والحياة واسعة، سكرى بالغيبوبة، ومرارة الحياة حلوة، والروح، وهي نبع الغموض، اصبحت واضحة » ويعرف الشاعر، في هدوء تلك المقبرة البحرية، وتسلط شمس الظهر الساخرة المحرقة، على الاشلاء الهائمة في الاعماق، انه هو الهمسة الحية الوحيدة المختلجة في ذلك الجسم الكبير، الميت، وان ندمه، وشكوكه، وحسراته، خطأ واضح في الجوهرة اللامعة : هدوء الموت وقدسية العدم، ولكنه يتذكر الحياة التي كانت منذ مدة قريبة تختلج في الجو والموتى، فيصرخ ان الحياة الماضية ضاعت في اعماق الارض، وان الطين الاحمر امتص العظام، وموهبة الحياة مرت الى الازهار، فأين من الاموات تلك الكلمات المألوفة، وذلك الفن الشخصي والروح المعروفة المحبوبة، ها هي الديدان، تملأ، في المحاجر الفارغة، أماكن الدموع ..

كل شيء يفنى، باطل الاباطيل، الكل باطل . حتى
صراخ الفتيات يداعبهن العشاق
والعيون والاسنان والاجفان المخضلة
والصدر الساحر الذي يلعب بالنار .
والعطايا الاخيرة والاصابع الممتنعة
كل شيء يذهب الى الارض ويعود الى اللعبة الكبرى !!

وتكاد نفس الشاعر تجاري هذه المظاهر المتلاشية، الزاخرة بالعدم، ولكنه يتوقف فجأة، ليترك هواء البحر النقي يملأ رئتيه، فيخفق قلبه من جديد، وتتضافر عليه جمالات الحياة، وترتعش روحه دعشة البعث، وينتهي الحلم، وتنتهي القصيدة ..

ولفاليري، في قصيدة « الافعى » نظرات اكثر تشاؤماً، وازخر بالسخرية والتحليل والقلق، ومما يزيد في قتامة الوانها كونها كتبت لمطلع حياة، اما « المقبرة البحرية » فنظرة اخيرة، يلقيها حكيم يموت، على ما حوله من الاشياء، والاشكال والافكار المتغيرة الدائرة في فلك الوجود .

والخلاصة ان فاليري شاعر التجارب النفسية البكر، ورائد عالم من الخلجات العذراء، اوصل احلامه الينا في لغة نجدها غامضة لاول وهلة لانها مجردة، وسرعان ما نألفها كما نألف موسيقى بتهوفن، وتصح فيه كلمة قالها هو « لملارمه » « انك يا استيفان لا تنعم بشعبية كبيرة، ولكن في كل قرية من قرى فرنسا شاب يتمنى ان يموت في سبيلك » .

وهو يعتمد الموسيقى دون ان يكون عبداً لها « كتيوفارلي » او ارمان « جودوا »، وهو، من الناحية الفكرية يلتقي بالانسانيين الكبار، مجربي الحياة والعدم : الخيام، وهوميروس، ولوكريس، وشكسبير، وغوته، والمعري .

محمد عيتاني

رباعيات جديدة

●

ايها الناس لو عرفتم فؤادي لشكرتم اخاءه والوفاء
انا لولا محبتي ما جعلت النصح دأبي ولا حملت العناء
فرقوا بين غضبة تحمل النفع ، واخرى تحرك البغضاء
وقح من يحارب الناس، لكن مصلح من يحارب الاخطاء

***

انا لا اجور على البخيل معنفاً لكنني ارثي له جذلانا
يقضي الحياة على بساط شائك من خوفه ويكابد الحرمانا
اما الكريم فواجد من نفسه ثقة تحدى الخوف والحدثانا
والبخل ذل في النفوس فحيثما تلق البخيل رأيت فيه جبانا

***

خفف اللوم ان رأيت الذي دونك يزداد شهرة ويسودُ
تبخس الناس فضل كل ضعيف ليس تحميه سطوة وبنود
الكلام الذي تقول واوطانك في الاسر ضائع لا يفيد
زأرة الليث في الحديد انين وهي في الغاب صولة ووعيد

***

اسفت لصمته وله يراع جميل بيانه سحر الجموعا
ولو ابصرت حدة ما يعاني من الارزاء ارخصت الدموعا
اذا نجت المواهب من حمام يسمى الفقر ، جشمها خضوعا
واغرب مشهد نصب ثمين اقيم لعبقري مات جوعا

عاصمة الارجنتين الياس قنصل

من الرابطة الادبية الارجنتينية

هذا النحو قد اوقعنا في حيص بيص

يصرف الطالب مدى سبع سنوات في دراسة القواعد ثم يخرج منها كما دخل والنظافة من الايمان

بقلم عيسى ميخائيل سابا

☆

لقد مرّ على اجتماع لجنة الثقافة للجامعة العربية مدة سنتين، وقد تعشمنا خيراً ولا سيما من لجنة القواعد، وقلنا انها ستطلع علينا بكتاب شاف واف، يريحنا من الاقوال المتضاربة، والتخاريج الاعرابية، واختلاط الحابل بالنابل، ويطمئن الاساتذة الذين ما زالوا يحملون على القواعد حملات، تدعو الطلاب الى الاعراض عنها، لما في كتبها من آراء، قد خلص منها دارسوها الى انهم يجدون لما يكتبون تخريجاً سواء طابق القاعدة المتواطأ عليها ام لم يطابق.

وقد كتب غير واحد في لزوم تهذيب كتب القواعد وتبسيطها فكانت لنا تلك المقترحات التي سمعنا بها في لجنة القواعد، وكان من اعضائها الفاهم اسرار اللغة وغير الفاهم، فتفرقوا على غير رأي في ما اتصل بي في حينه، وكنت قد نقدت بعض ما ترامى الي على صفحات الجرائد السيارة، على أنها كانت صرخة في واد، ولكن:

على المرء ان يسعى الى الخير جهده وليس عليه ان تتمّ المقاصد

فعلى المرء ان يكتب ويبدي رأيه، وعلى الناس ان يقرأوا او لا يقرأوا، وعلى من يهمهم الامر ان يصغوا فاما ان يروا في القول حقاً فيتبعوه، واما ان يروا فيه هذراً فينبذوه.

وهذا النحو الذي بين ايدينا على كثرة ما فيه من التآليف، قد اوقعنا في حيص بيص، كل يسير على هواه، ويكتب ما يشاء ويعلّم ابناء الجيل ما اراد، والمدارس على اختلافها ما زالت تشكو صعوبة القواعد العربية، فهل هي على حق؟

ذلك ما يجب ان نبحثه على ضوء الكتب التي بين ايدينا، وفيها ما فيها، مما يجوز وما لا يجوز وما يصح فيه الامران، وهنا البلبلة وتكسير الرأس، وبين هذه الكتب مؤلفات لجماعة فهموا فأفهموا نوعاً، وهنالك غيرها لجماعة لم يفهموا ولم يُفهموا، وظنوا أنهم سهلوا وحلوا المشكل، ولم يدروا انهم زادوا الطين بلة وصار التسهيل تعقيداً.

وعلى ذلك، بات على اساتذة الجامعات واصحاب الالقاب العلمية، ان يُقشعوا لنا الصبح ان كان في مقدورهم ذلك، ويمشوا بنا الى الوجه الواحد الذي لا يتناول غيره، فيدرس الطالب في مدى سنة او سنتين ما يعصم لسانه عن الخطأ، ويتفرغ الى دراسة علوم هو احوج ما يكون اليها في عصري الكهرباء والطاقة الذرية وغيرهما مما يكشفه المستقبل. فحتام نبقى في بلبلة وفي كل قول تخريج والمطولات تكفل لنا ذلك.

وان نحن قلنا بلزوم وضع كتب للقواعد المضبوطة التي لا تتناول غير وجه واحد فانما نقول ذلك حفاظاً على لغتنا التي كاد يهملها ابناؤها منصرفين الى غيرها لانهم يرون في اللغات الاجنبية سهولة للتعبير ونقل الافكار على اسهل وجه واقرب طريق، وكثيراً ما نرى اولئك الذين يتنكبون عن دراسة العربية لا لشيء الا لكثرة ما يرون من الاوجه التي يجوز ان يحمل عليها الكلام، فاذا ما درس تقرير قاعدة ما يرى من يخالفها ويقول بغير ما درس، فاذا ما عرف ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب او مجرور بالحرف يطل عليه ابن مالك في الكافية الشافية ليقول له:

ورفع مفعول به لا يلتبس ونصب فاعل أجز ولا تقس

وبينا هو يقول بعدم القياس يجيء ابن الطراوة العالم الاندلسي ويقول بل انه مقيس ومنه الآية «فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ».

وعلى مذهب ابن الطراوة لا خوف علينا من اللحن، وليس ذلك فقط بل انك تقدر ان ترفع كلًا من معمولي الفعل الناقص ولا جرج عليك ولا تثريب، فاسم الفعل الناقص يكون ضمير الشأن المحذوف والجملة الاسمية بعده خبراً وقد انشد:

اذا مت كان الناس صنفان شامتٌ وآخر مثنٍ بالذي كنت اصنع

وكذلك الحرف الناسخ الذي ينصب المبتدا ويرفع الخبر، تقدر ان تنصب به معموليه على السواء. وقد جاء :

اذا اشتد جنح الليل اوكاد فلتكن خطاك سراعاً ان حراسنا أسدا

الى غير ذلك فهو كثير فما عليك الا ان تنظر بكتاب نحو مشهور فترى غير ما نقلت اليك، أو ما قيل لك ان خبر افعال المقاربة يجب ان يكون فعلاً مضارعاً رافعاً ضمير اسمه ولكن ورد خلاف ذلك :

اكثرت في العذل ملحاً دائماً لا تكثرن اني عسيت صائماً

وورد ايضاً :

فأبتُ الى فهم وما كدت آئباً وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وهذا الممنوع من الصرف الذي تضاربت فيه الآراء فمن مانع من الصرف ومن صارف ولا سيما صيغة منتهى الجموع وقد رجز بذلك الراجز :

والصرف في الجمع أتى كثيرا حتى ادعى قوم به التخييرا

وقد قال الرضي في شرح كافية ابن الحاجب «ان حكم الاعراب لا يختلف عن علته، ولا يوجد العامل ويبقى العمل الا لسبب، اما حكم الصرف فانه يتخلف عن العلة» الى ان يقول اخيراً «ومنع الصرف سبب خفيف اذ هو مشابهة غير ظاهرة بين الاسم والفعل»

وهذا البدل وعطف البيان وهما حيرة الاساتذة والطلاب وليس هذان فقط بل غيرهما من ابواب النحو ولكن لنقتصر عليهما فقط لنرى ما يقول الرضي في شرح البدل ما نصه : «اقول وانا الى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان، بل لا أرى عطف البيان الا البدل كما هو ظاهر كلام سيبويه فانه لم يذكر عطف البيان بل قال : اما بدل المعرفة من النكرة فنحو مررت برجل عبدالله، كأنه قيل بمن مررت او ظن انه يقال له ذلك فابدل مكانه من هو اعرف منه ومثل قوله تعالى «انك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله[1]».

وهل تريدني ايها القارىء ان اخبرك عن تحكم النحاة بلا المشبهة بليس فقالوا انها تعمل عمل ليس وهو مذهب الحجازيين بشروط ثلاثة احداها ان يكون الاسم والخبر نكرتين نحو لا رجل افضل منك ولكن النابغة ينشدنا :

بدت فعل ذي ود فلما تبعتها تولت وابقت حاجتي في فؤاديا
وحلت سواد العين لا أنا باغياً سواها ولا عن حبها متراخيا

ويذهب ابن مالك الى ان القياس عليه سائغ فما بال مؤلفينا المحدثين يشترطون باسمها وخبرها ان يكونا نكرتين وقد انشد المتنبي :

اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى فما الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

ولست في مقام تعداد ابواب النحو لاقص عليك خبراً من هذه البلبلة فانت اعرف مني بذلك، ان كنت من اساتذة النحو او طلابه، وهذا قل من كثر نتقدم به الى اساتذة الجامعات والى لجنة القواعد في الجامعة العربية، ليصفوا لنا ما يعصم اللسان عن الخطأ فيسهلوا ويتفقوا على مذهب واحد، لا مذاهب شتى ولا ان يتركوا لنا الخيار وتحكيم الذوق لاننا بذلك نفقد الامرين معاً ونطوي كتب النحو غير ملتفتين اليها لاننا نرى في كل قول تخريجاً. وآخر ما نختم به القول، قولهم ان الفعل المضارع الناقص اي المعتل الآخر اذا دخل عليه حرف جزم حذف آخره نيابة عن السكون ليظهر اثر الجزم فيه، لان حرف العلة من اصله ساكن تقدر عليه الحركة ولكن ما يكون موقفنا عندما ننشد لقيس بن زهير العبسي :

ألم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى بادراع واسياف حداد

انقول ان ضرورة الشعر حملته على اثبات الياء في يأتيك، ولِمَ لا يحمل ذلك على النثر؟ ولِمَ جعلوا حذف النون في الافعال الخمسة علامة للنصب والجزم، أمن سبب؟ ولِمَ لا يتساوى ذلك في الفعل الناقص المعتل الآخر.

وليس ما قدمت هو مشكلة او مشاكل النحو الذي بين ايدينا. ان هنالك مجالا للقول ذا سعة ولكن اقتصرت على ما يكون فيه منبهة للجنة القواعد لتنظر بامر الطلاب والطالبات، وتقطع بلبلة الكتب التي نتدارسها وندرسها فليس من العدل في شيء ان يصرف الطالب مدى سبع سنوات في دراسة القواعد ثم يخرج منها كما دخل والنظافة من الايمان.

لقد كان قديماً مطلب العربية وحده فجاءنا النحاة بما ينفع ولا ينفع واما اليوم وقد تعددت العلوم والفنون والطالب بحاجة الى دراستها فليس بوسعه ان يقتل الوقت في شتى المذاهب ليقول :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا

او :

غنتاني الجرادتان صباحاً فكأني شربت كأس الدنان

ولا قول جرير :

سيروا بنو العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى فما تعرفكم العرب

وسكن الفعل المضارع «تعرفكم» بدون ما سبب. فللطالب من حاجات العصر غير ذلك.

عيسى ميخائيل سابا

(1) شرح الرضي على الكافية باب البدل ص ٣٣٧

قضية لارونسيير

قد جرى ذلك في صيف ١٨٣٤، في عهد لويس فيليب، بمدينة سومور حيث كانت تعيش اسرة محترمة سعيده، ذات أمجاد تاريخية قديمة وحديثة هي اسرة الجنرال دوموريل عميد مدرسة الخيالة في تلك المدينة.

وكانت ماري دوموريل ابنة الجنرال قد بلغت ربيع حياتها، فاكتملت انوثتها، ولفتت بجمالها ونضارتها انظار الشبان، وفي طليعتهم طلاب مدرسة الخيالة واحد معلميها الملازم اميل دولارونسيير.

كان لارونسيير شاباً طويل القامة، جميلاً متأنقاً مزهواً بعض الشيء؛ فهو فيكونت، وابن جنرال، وقد اشتهر بالجرأة وحب المغامرة وكثرة العلاقات النسائية.

وتلاقى لارونسيير وماري دوموريل ذات ليلة، في احدى الحفلات الراقصة، فظفر بقلبها منذ اللحظة الاولى، واستطاع ان يبعث الرعشة في نفسها فترتعد امامه وتحاول اثارة عطفه وحنانه بقولها له انها نشأت في الدير بعيدة عن ابويها، وغادرته منذ سنة واحدة، فهي لا تعرف احداً ولا اصدقاء لها، وليس لها من انيس غير المس آلان مربيتها الايرلندية الشابة ذات الذكاء المحدود، وكثيراً ما تقضي ايامها واماسيها في وحدة كئيبة تفكر وتحلم.

وضحك لارونسيير قائلاً انه كان يخيل اليه انها فتاة لعوب تغشى الاوساط الراقية، وتعاشر الشبان وتمازحهم، وتستمتع بالحياة كما ينبغي لها، واضطربت ماري البريئة لشعورها بضعفها وتأخرها، واعترفت له بانها ليست كما قال.

وعادت الفتاة بعد انتهاء الحفلة الى منزلها فوجدت مربيتها المس آلان تنتظرها في مخدعها لتساعدها في خلع ثياب السهرة وارتداء ثياب النوم، فتركتها تفعل ذلك دون ان تبادلها كلمة واحدة، ثم تمنت لها المس آلان ليلة سعيدة وغادرتها لتنام، وبقيت ماري وحدها ولكنها لم تكن لتشعر بالرغبة في الرقاد. فان قلبها قد استيقظ، وهيهات لفتاة استيقظ قلبها ان تعرف لذة الرقاد في مثل هذه الليلة الفريدة.

اعتمدت ماري دوموريل بمرفقيها على حافة النافذة، واخذت تتأمل في جمال الليل. وكان النسيم ندياً، ومياه نهر اللوار تتكسر بصوت عذب على اعمدة الجسر. واذا بها تلمح شبح رجل يسير على الجسر متمهلاً، آتياً مرة وعائداً مرة اخرى. وخيل اليها ان هذا الرجل ينظر الى نافذتها. فأطفأت الشمعة التي تشتعل في غرفتها، وأخذت تراقبه باهتمام. واذا بالرجل يدنو من المنزل، وينظر الى نافذتها طويلاً، ثم يختفي في الظلام.

لارونسيير



لم تشك ماري في ان هذا الرجل هو الملازم لارونسيير، فقد تبينته جيداً حين دنا من المنزل. فما الذي اتى به في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ ولماذا ينظر الى نافذتها بهذا الاهتمام؟!

وسرعان ما تفتقت مخيلة الفتاة عن قصة غرام: لقد تبادلا طويلاً في تلك الليلة، وسادت هذا الحديث روح المودة والتفاهم التام. فلا ريب في انه قد احبها، وان هذه العاطفة الجديدة التي تختلج في قلبها هي رجع لعاطفته واستجابة لغرامه. وفكرت ماري ملياً ثم حدثت نفسها بانها ستكون سعيدة حين تغدو الفيكونتيس دو لارونسيير!

وانها لكذلك اذ شاهدت الشبح يخرج من الظلام ، ويأخذ في تسلق الجدار ، مستعيناً بانبوب المزراب .

ارتعدت الآنسة دوموريل لهذه الجرأة ولهذه السرعة في تتابع المفاجآت تلك الليلة . وايقنت بانه لن يلبث حتى يقرع زجاج النافذة قرعاً خفيفاً متوسلاً اليها ان تصغي اليه قليلاً ثم يبوح لها بحبه الغامر . وتصورت مناجاة روميو لجوليت على شرفتها .

ولكنها ما عتمت ان انتبهت الى ان لارونسيير يتجه الى نافذة المس آلان ثم يدخل الى غرفة مربيتها ويسود الصمت . .

فاحتدمت نار الغضب والغيرة في صدرها واخذت تتمتم في غيظ كظيم : « يا لك من وغد سافل . لقد غدرت بي وعبثت بثقتي ايها الدنيء الماكر » .

وفي احتدام غضبها عزمت الفتاة على الانتقام من الرجل ، كأنه قد اساء اليها اساءة لا تغتفر .

دخلت ماري دوموريل في اليوم التالي الى مكتب ابيها ، فوجدت على منضدته مغلفاً كبيراً يحتوي تقريراً مقدماً من الملازم دولارونسيير ، وقد كتب عليه « للحفظ » ، فادركت الفتاة من هذه الكلمة ان التقرير قد درس واحيل الى الحفظ وانها اذا اخذت بضع اوراق منه فلن ينتبه لفقدها احد . وما لبثت ان حققت الفكرة التي جالت في ذهنها فانتزعت عدداً كبيراً من اوراق التقرير ، ووضعت مكانها اوراقاً بيضاء ، وغادرت الغرفة بغنيمتها مرتجفة خافقة القلب .

وما هي الا ايام حتى اخذت ترد الى وجوه المدينة ، واحداً بعد آخر ، رسائل لا يصح القول بانها رسائل مغفلة لانها كانت موقعة بحرف « ر » وكانت هذه الرسائل تحمل التهم الجزاف وتوغر صدور الناس بعضهم على بعض .

وبعد حين زارت الآنسة دوموريل الفيكونت دولارونسيير في منزله ، واخذت تحدثه حديثاً غامضاً ، محاولة ان تسوغ زيارتها ، ثم اعترفت له بانها وجهت الى بعض الشخصيات رسائل موقعة باسمه . . اعترفت بذلك في غمرة من الذهول والغبطة كأنها كانت تجد لذة غريبة في الشكوى امامه والاعتذار منه واثارة الشفقة عليها في نفسه او اثارة غضبه ونقمته ! .

ووثب الرجل صارخاً ، عندما سمع قولها .

— رسائل موقعة باسمي ؟ لمن ؟ وفي اي موضوع ؟

فقالت متوسلة وهي تضرب صدرها بقبضة يدها

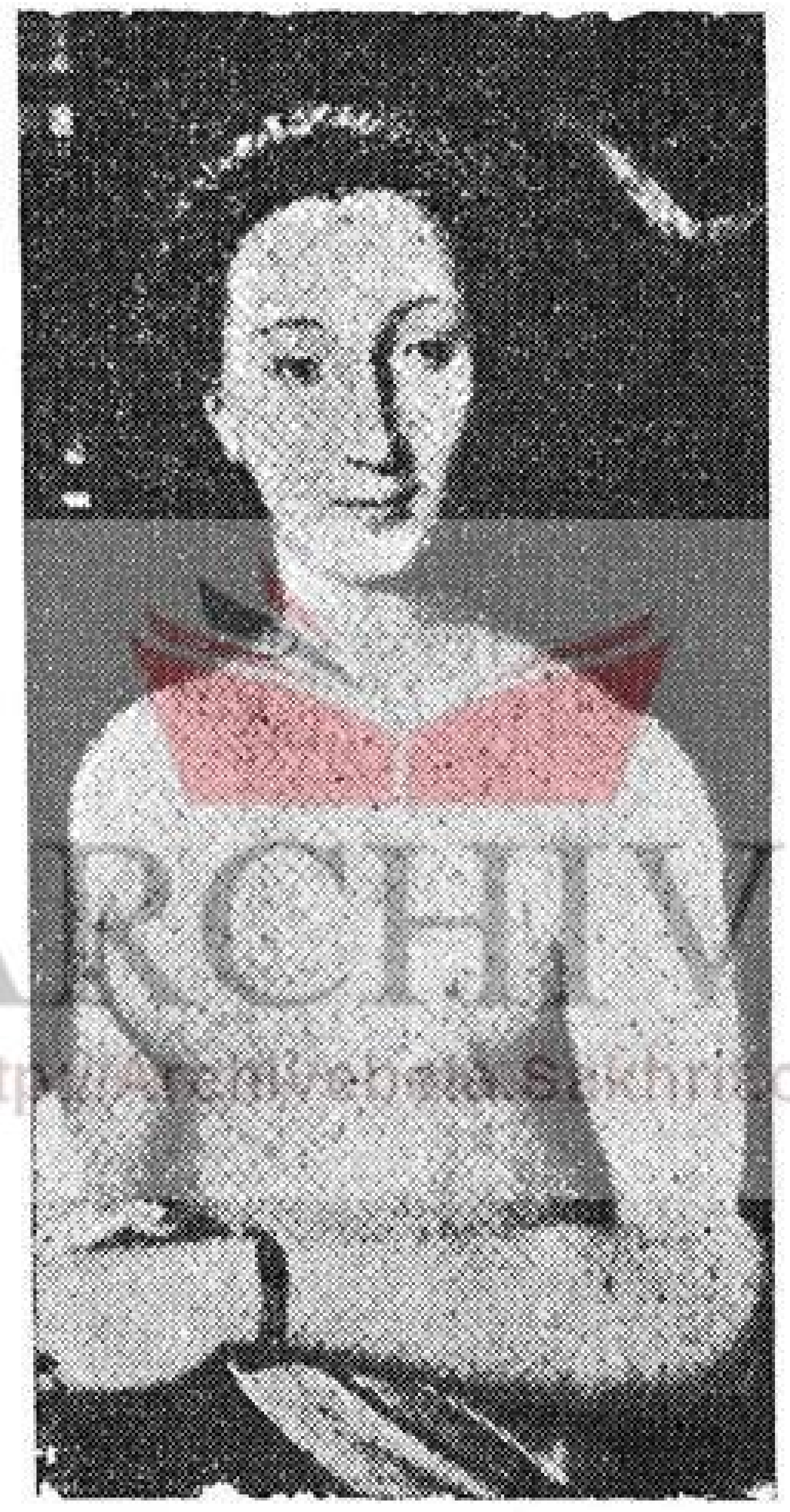
— المغفرة . . المغفرة . . لننسَ هذا . . انها رسائل لا اهمية لها ليس فيها سوى كلمات تافهة .

ولكنها ما لبثت ان عادت الى هدوئها ، واخذت تستعد للرحيل . لقد ظنت ان اعترافها وتضرعها سيؤديان الى موقف عاطفي تُذرف فيه الدموع وتُبذل الوعود . فرأت في هدوء لارونسيير اهانة لها لانها تستحق هذه اللامبالاة الظالمة ؟ ! . وقالت في جفاء .

— انك لست بالرجل الذي كنت أتخيله يا سيدي . ويؤسفني ان تكون ثقتي بك قد دفعتني الى زيارتك في منزلك . فوداعاً . وارجو ان لا تكلف نفسك مشقة مرافقتي .

قالت ذلك وفي نفسها بقية من الوهم تحملها على الاعتقاد بأن لارونسيير لن يدعها تغادر المنزل . وانه لن يبطىء حتى تثيره كلماتها فينقض عليها انقضاض الوحش المفترس ليضمها بين ذراعيه ويلتهمها بقبلاته .

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، اذ ظل لارونسيير على هدوئه وحذرها بلطف من السلم لان احدى درجاته مخلوعة ، وفتح لها الباب مودعاً اياها باحترام .



ماري دو موريل

وتكاثرت على اثر هذه الزيارة ، تلك الرسائل السرية التي تحمل توقيع « ر » ، وتعاظمت موجتها . وكانت تنطوي كلها على اتهامات جريئة موجهة الى الآنسة دوموريل ، ومطاعن بذيئة في اخلاقها وسيرتها ، وفضائح عجيبة توصم بها .

كانت هذه الرسائل تتهافت من كل صوب ، على جميع الشخصيات المعروفة في المدينة ولا سيما الجنرال وزوجته ، كأنها سرب من الطير يهبط على حقل . وهي تاتي تارة بواسطة البريد وتدس تارة في كتب الصلاة وبين اصابع البيانو ، ويعثر عليه مرة في درج احد المكاتب او خزانة احدى السيدات ، ومرة اخرى بين الوسائد او طيات الثياب . تكتب ببراعة ، وتلقى ببراعة ، وتدل في كلا الحالين على مهارة صاحبها في الدسيسة ، واصراره على

فضيحة هذه الفتاة ووصمها بجميع التهم والوشايات ! .

وكانت ماري دو موريل هي التي تدبج هذه الرسائل سراً ، وتوزعها في الخفاء . وقد جعل انحرافها وشذوذها من هـذه المهمة هدفاً لها وفكرة ثابتة عندها . فهي تبدع كل يوم تهمة جديدة ، وتبتكر وصمة شائنة تصم بها نفسها وتلوث شرفها . وتجـد في ذلك لذة غريبة ولكنها لذة مخيفة لانها كانت تعرض الملازم اميل دولارونسيير الى خطر عظيم .

ذلك ان الفتاة بعد ان كانت توقع تلك الرسائل بحرف «ر» اخذت توقعها هكذا : « أ . دولار . » . وكان طبيعياً ان تحوم الشبهة حول اميل دولارونسيير ، فاتهمه الجنرال دوموريل بكتابة هذه الرسائل الدنيئة ، وانبه اثناء التحقيق معه تأنيباً قـاسياً ، فوقف الرجل حائراً ، لا يجرأ على فضيحة الفتاة واعلان زيارتهـا له واعترافها بانها هي الـتي تلفق تلك الرسائل الغريبة . واكتفى بانكار التهمة الموجهة اليه دون اعلان تلك الحقيقة التي تبعث على الدهش والاستغراب .

وفي ذات مساء ، بعد انقضاء اسبوع واحد على ذلك التحقيق ، اجتمع لارونسيير في مجلس شراب زملاء له من الملازمين والضباط فاستخفه السكر واخذ يصرح بأنه يعرف ملفق هـذه الرسائل وانه سيعاقبه بنفسه ، ثم استدرجه رفاقه فباح لهم بسره .

واراد زملاؤه ان يخففوا من غضبه فقالوا مازحين :

— انك تبالغ . . فهل انت تجرؤ على معاقبة آنسة ؟!

واستفزته روح المغامرة فقال .

— ولم لا اجرؤ ؟ اهل عرفتم اني تراجعت امام عقبة ما ؟ اني اراهنكم على عشر ليرات ذهبية بان انزل بها عقابي مساء غد ! .

فقالوا مغرقين في المزاح .

— عشر ليرات ذهبية ؟ انه مبلغ كبير ! وماذا تعني بعقابك ؟ هل ستغدو عشيقاً للآنسة دوموريل ؟

— اعوذ بالله من ذلك . ولكنها ستنال العقاب الذي تستحق !

ما هو العقاب الذي كان لارونسيير يتصوره ويريد ان ينزله بالفتاة ؟ ان صحف ذلك العهد لم تشر اليه الا اشارة غـامضة اذ سمته « حصاد الحقل » ، اما التهمة الرسمية الـتي وجهت اليه فهي « ضرب وجرح » . . وقد أثارت المحاكمة التي جرت في سنة ١٨٣٥ اهتمام الرأي العام بسبب هـذا السر نفسه . وكان السلاح الذي اختاره لارونسيير واقدم به على « جرمه » مقص عادى بسيط . . وقد تساءل الجميع عن سبب اختياره لهـذا السلاح دون غيره . .

فهو سلاح لا يمكن ان يلجأ اليه رجل ينوي الاقدام على جريمة دامية !

في ذلك المساء الذي راهن فيه لارونسيير رفاقه على « معاقبة » الفتاة ، بعد ان اهـاجه الغضب والشراب ، رأى الملازم زملاءه ينظرون اليه دهشين غير مصدقين فقال لهم مطمئناً .

— ان لدي طريقة سهلة للدخول الى منزل الجـنرال . طريقة بسيطة وأكيدة .

— وما هي ؟ !

فخانته رصانته مرة اخرى وباح لهم بعلاقته بالمس آلان ، ثم قال وهو يترنح سكراً .

— اما النتائج فلن أهتم بها . فانا لم اعد استطيع البقـاء في سومور . وستكون زيارتي للمس آلان زيارة الوداع ، وسأقوم بها غداً مساء . غداً مساء أيها الاصدقـاء . . ولكني سأعتمد على شرفكم في كتمان السر . وسننفق معاً قيمة الرهان !

وفي مساء اليوم التالي تسلق اميل دولارونسيير جدار منـزل الجنرال ، ودخل كعادته الى غرفة المس آلان ، ثم دخل من هذه الغرفة الى مخدع الآنسة دوموريل ، تاركاً خليلته في دهش وحيرة عظيمين . . فاستفاقت ماري واستوت في سريرها قائلة في ذعر .

— من هذا ؟

فقال لارونسيير .

— ألم تعرفيني ؟

فعرفته الفتاة ، وارتعشت خوفاً وفرحاً ، لاعتقادها بان الساعة التي طالما حلمت بها قد أزفت . . ولكن لهجة لارونسيير لم تكن لهجة عشيق بل لهجة قاض امام احد المتهمين . والحق انه ما لبث ان قال وكأنه يصدر عليها حكمه .

— لقد اتيت لمعاقبتك ايتها الشريرة . انك اردت القضاء علي ، ولعلك قد وفقت فيما اردت . واريد بدوري ان اقتص منك .

وانقض عليها ، فألقاها على السرير ، ونزع عنها قميص النوم ، وكم فمها الذي بدأ يستنجد .

وطفقت الفتاة تقاوم ، محاولة ان تنشب في الرجل اظافرهـا وان تعضه باسنانها . لانها لم تستطع ان تعلم ما الذي يريد ان يفعل بها . كل ما رأته منه انه كان يحاول منعها عن الحركة ، وكان في يده اليمنى مقص !

وفي حركة عنيفة بدرت منها ، اصيبت الآنسة دوموريل بجراح في فخذيها ، ولكن لارونسيير كان قد نفذ انتقـامه او قصاصه . فاعاد المقص الى جيبه ، وعاد الى غرفة المس آلان التي

كانت جاثمة امام الباب فاقدة الوعي فتخطاها وعاد من حيث أتى.

تحررت ماري من قيدها واستوت في سريرها تفكر في غيظ. لقد ايقنت الآن بان لارونسيير لم يكن يريد الاعتداء على حياتها او على عفافها. وعلمت ما هو العقاب الذي تمخضت به مخيلته ولماذا تسلح بالمقص دون اي شيء آخر. فالاعتداء الذي تعرضت له لم يكن خطراً ولا مخيفاً، ولكنه اعتداء مهين ومضحك سيجعلها عرضة للهزء والسخرية ان هي اعترفت به ولن يعرض المعتدي الا لقصاص يسير او توبيخ بسيط.

كلا، لن تعترف بهذه الحقيقة، ولكنها ستدعي ان لارونسيير حاول اغتصابها. ويجب ان تعد من اجل ذلك الادلة التي تثبت رغبته في الاقدام على هذه المحاولة.

وأسرعت الفتاة الى النافذة فحطمت احد الواحها الزجاجية بقبضة الفرشاة، ثم فتحت النافذة لتوهم المحققين بان المعتدي قد حطم الزجاج ثم مد يده ففتح النافذة. وجرحت شظايا الزجاج يدها فلوثت صدرها بالدم الذي سال من الجرح لتبدو في هيئة المعتدى عليه. ثم عادت الى سريرها ونادت المس آلان. فاستعادت المربية وعيها وهرعت نحو الآنسة دوموريل.

***

ان خاتمة هذه القضية هو اروع ما فيها. فان لارونسيير قد أحب الآنسة دوموريل اخيراً، ولم ينس ابداً المشهد الذي رآها فيه تلك الليلة فآثر العار والسجن على الاعتراف بحقيقة «العقاب» الذي انزله بها.

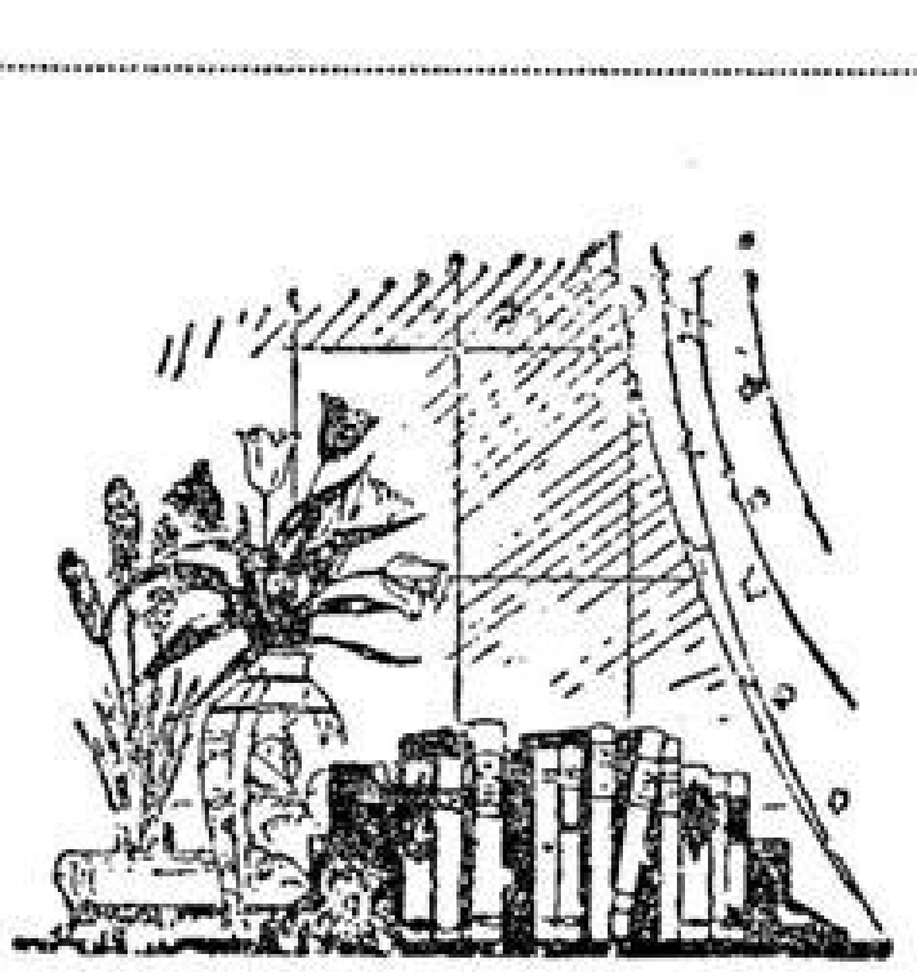
لقد اتهم بمحاولة الاعتداء على شرف الفتاة، فانكر التهمة وانكر انه كاتب الرسائل المغفلة التي وجهت الى ابيها وامها وكثير من شخصيات المدينة، وأيد الخبراء قوله، ولكن اصراره على كتمان ذلك السر ارغم هيئة المحكمة على ادانته بتلك التهمة الشنعاء.

وقد علم الرأي العام ورجال القضاء ان في الامر سراً، وسألت هيئة المحكمة المتهم عن هذا السر فلم يجب، وسألت الفتاة ما الذي جعلها ترفض السماح لامها برؤية الجراح التي اصيبت بها الابعد انقضاء خمسة عشر يوماً اما الطبيب فانها لم تسمح له بذلك الا بعد خمسة اسابيع كاملة، فلم تجب هي ايضاً.

وامام صمت المتهم لم يسع المحكمة الا ان تدينه بالتهمة التي نسبت اليه وتقضي بسجنه عشر سنوات.

وتقبل لارونسيير هذا الحكم القاسي دون ان يبوح بالسر الذي ينقذه منه!

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة

في الخارج: ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا: ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج: ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب: باب ادريس، شارع الكبوشية

تلفون: الادارة: ٤٧ — ٩٢ Direct.: 92 - 47 Tél.

المنزل: ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

من المساء الاخير

بقلم يوسف الشاروني

ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الاول

حين رأيتني أغني اقبلت في هدوء عند قدمي تجلسين ،
ثم رفعت الي ابتسامة عميقة ورحت تنصتين ،
اما أنا فظللت اتطلع الى الطريق مغنياً للسائرين .

بعضهم وقف لحظة ثم مضى ، وبعضهم ظل يسير ،
وبعضهم لم يسمع الانغام ، بل اخذ يضج ويصيح ،
اما انت فكنت الى جانبي جالسة تنصتين .

وحين تعبت، وجدت ان احداً لم يعطني اجراً طوال النهار ،
فهممت ان أوقف انشادي وانضم للسائرين ،
حين رأيتك الى جانبي متطلعة تبسمين .

وهمست عيناك . غن لهم فهم متعبون منهكون ،
ولحناً لم تطلبي لك، فقط ان استمر في غنائك المتغربين
فانحدرت مني دمعتان ، واندفعت اغني في حماس للعابرين .

***

اذ كان وصولك الى قصر حبيبتك ذات مساء ،
ورأيت جمهوراً من المزدحمين يتضاربون فراعك الزحام ،
لا تحسب انك تأخرت ، بل هدىء روعك واخترق طريقك بين المحتشدين
واذا فشلت فلا تيأس بل حاول من جديد
والا فان الليل سيقبل وانت لا تزال خارج أبوابها .

فاذا أقبل الليل واقفلت ابوابها وانت لا تزال في العراء ،
وتفرق جمهور المزدحمين ورأيت نفسك وحيداً مع نجوم تشخص اليك
لا تحسب ان الوقت مضى ، بل هدىء روعك
ثم تسلق هذه الشجرة التي تقبل نافذتها
فربما انعكس ضوء غرفتها عليك فرأتك ذات لحظة
والا فان الليل سيوغل وانت لا تزال بعيداً عن نور أجفانها .

فاذا ما أوغل الليل واطفأت انوارها وانت لا تزال في الظلام ،
وصمت النسيم وضمت الطيور اجنحتها وهربت الحياة على اطراف اقدامها
اعلم أن الوقت أزف ، استجمع قوتك
وامسك نايك وانفخ فيه كل رغائبك ،
انها ستسمعك في هذا الصمت عندما تذوب اغنيتك
في حلم من احلامها الذهبية ،
والا فان الفجر سينتفض في الندى وخفقاتك تجمدت
لانها لم تدفأ بخفقاتها يا صديقي .

***

كي اتحرك لا بد ان أترك لكنني سأحصل
في كل فجر ، بعد كل منحنى ، على شمس جديدة وأرض جديدة ،
اضمها الى عالم تركته ورائي لكنه بي ،
فأزداد .. وانا اتحرك في فرحة صارمة .

كي اتحرك لا بد ان اترك لكنني سأحصل
في النهار او الليل ، في القيظ او الهد ، على دمعة هنا اوفرحة هناك
أضمها الى طريق بدأته في السفح لكنه معي ،
فأعلو .. وانا اتحرك في نشوة رائعة .

كي اتحرك لا بد ان اترك لكنني سأحصل ،
في الظلام على النور ، في الضعف على القوة ، في الرمز على المعنى ،
اضمه الى محيط امواجه فوقي لكنني فيه ،
فأوغل .. وانا اتحرك في طمأنينة واثقة .

كي اتحرك ، لا بد ان اترك ، لكنني سأحصل ،
على ذكرى على جرح ، على امل على حلم، على ما أري وما لا أرى ،
اضمه الى كون جميعه يموت ليحيا ،
فأتحرك . . . كي ترتعش روحي مع وجود في شبه حمى دائمة ،

***

لا تحسبيني احببتك وحدك ،
فقد احببت النور والحياة ، والايائل والزنابق، والافراح والآلام ،
لكنك وحدك التي اغمضت عينيك قبل ان ينتشر الظلام ،
ولولاهم للعنتُ حبي ، فقد اخبروني ذات يوم تستيقظين .

لا تحسبيني غنيتُ لك وحدك
فقد غنيت للاخريات، وللشباب والكهول، والاحياء والاطياف .
لكنك وحدك انصرفت قبل ان اتم نشيدي ،
ولولاهم لحطمت نايي فقد اخبروني ذات يوم تسمعين

لا تحسبيني بكيت فراقك وحدك
فقد بكيت للامهات تلد ، وللاجنة تولد ، للمرضعات تفطم اطفالها
وللاطفال يفطمون .
لكنكِ وحدك التي هزأت بدموعي قبل ان تجري
ولولاهم لكظمت حزني باسماً فقد اخبروني ذات يوم ستبكين .

ولا تحسبيني قدمت حياتي لك وحدك ،
بل حين قدمتها اليك كنت ألمح الاجيال فيك
بحبها وأطفالها وبكائها ،
وانت وحدك رفضت ان تقبليها ،
فأذني لي اذن ان امضي في تقدمتي حتى تقدمي لهم حياتك انت ايضاً .

***

حين قدمت اليك حلمي فشوهته وانت تشفقين ،
حسبت ان روحي تلفت وايامي انطفأت والقبور لي ،
لكن حين خفقت اعماقي تضاءل امامي ما تفعلين ،
فما كان اول جرح ولا آخر الجراح .

حين قدمت اليك حلمي فشوهته وانت تجهلين ،
قلت سيترك القوم طريقهم ويأتون معي ويبكون ،
لكن حين استمروا في طريقهم تضاءل امامي ما تفعلين
فما كنت اول من تعذب ولا آخر من يتعذبون .

حين قدمت اليك حلمي فشوهته وانت تسخرين ،
ظننت الشمس تظلم والنجوم تهوي والشهب تتساقط ،
لكن حين ظل كل شيء باسماً مطمئنا تضاءل امامي ما تفعلين ،
فما انا اول حي ولا آخر الاحياء .

لكل منا ايها الندماء تجربة حب
رنانة بالضحك ، مبللة بالدموع ، مزدحمة بالحياة ،
ورثناها حالما استيقظنا ونورثها ابناءنا يوم نعود ننام ،
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا الجبار .

بعضنا احب البرية ، اشجارها وغدرانها وقطعانها الوحشية ،
وبعضنا أحب خفقات تتناغى مع هواه
وبعضنا احب الاله . . لكننا جميعاً اغرمنا بالحياه
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا العظيم .

حبنا لا يعرف الشواطىء لا ولا يدري الحدود
فحبنا ذواتنا هو حب للوجود، وحبنا الوجود هو حب للذوات ،
نحن نحيا مع كل حي ، ونحيي كل حسن ثم نمضي صاعدين ،
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا المجنون .

لكل منا ايها الندماء تجربة حب ،
رنانة بالضحك مبللة بالدموع ، مزدحمة بالحياة ،
ورثناها حالما استيقظنا ونورثها ابناءنا يوم نعود ننام
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا المجيد .

***

حين رأيتني مضطربا ، انفخ في ناي خشبي ضعيف . . اقبلتِ لتدخلي عزلتي ، واعطيتني نايك الصامت كي انفخ منه آلامنا ، ويقتسم معنا احزاننا ، ويزيدنا افراحنا . لكنني القيته جانباً ! وانطلقت من غرفتي المحدودة، مارا بدور القرية ، محاولا ان الحن لكل قلب خفقاته في نايي الخشبي، فما كان يطرب لي احد، وفي المساء اعود لالتهم منك العشاء ، ثم في الفجر انطلق وما غنيت لك لحناً .

وذات مساء رجعت الى غرفتنا ، فوجدتك جثة هامدة ، ونايك المهمل اكتسب لوناً من ذهب . فحطمت نايي الخشبي ، وامسكت نايك بين يدي في عنف . ومن يومها لم اخرج من غرفتنا ، بل ظللت اغني لروحك المرفرفة ، للوعتي ، لذكرياتنا لآمالنا الضائعة . فاتى الناس يزدحمون حول غرفتنا . بعضهم يسمع اغاني الفجر ، وبعضهم يمر في المساء ، والبعض يأتي في اعماق الليل ، اما روحك يا ايتها الجثة الجميلة فستظل تسمع كل اناشيدي

كان لي كوخ وبئر رابضان عند منحنى الطريق ، وكأس ذهبية أترعها لكل من يمر ظامئاً. وذات ليلة اكتسحت العاصفة كوخي الصغير ، فطمست لي بئري ، وحطمت لي كل شيء الا كأسي الذهبية. فقلبتها بين يدي في حيرة وانا اذكر كيف ارويت بالامس منها .. العابر الاخير .

وانتظرت حتى تبلج الفجر ، فجلست على حطام كوخي اسأل العابرين ان يملأوا لي كأسي الفارغة ، لكنهم كانوا يمضون وهم في ريبة يهمسون : نقودنا من فضة كيف نلقيها في كأس من ذهب ؟ وقبل ان يولي النهار وجدتني احفر بئري من جديد. حتى اذا ما اقبل الغروب كنت قد استطعت ان اروي... العابر الاخير .

***

كنت اقف بالامس امام باب حديقتي ، حين اقتربت مني في بطء فتاة ذات ثياب رثة ، تحمل خرجاً فارغاً على كتفيها فلوحت لها بقرش في يدي. لكنني رأيت وجهاً يشرق فجاءة وهي تقول : اتأذن لي يا سيدي ان اجمع الزجاج المتكسر الذي يلقيه اطفال القرية في حديقتك ؟ وكان صوتها المنكسر عميقاً وقوياً يأذن لها ان تدخل حديقتي ، فتركتها هناك طوال النهار تجمع قطع الزجاج المنتثر بين الزهور والرياحين .

وفي المساء كانت قد تركت وراءها بقعاً من الدم هنا وهناك ، وحملت معها كل قطع الزجاج ، حتى تلك التي كانت على سور حديقتي كي تمنع الاطفال ان يقفزوا داخلها . وفي الصباح كان الاطفال قد استطاعوا ان يدخلوا حديقتي .

***

كنت فرحاً بقلبي اول ما استيقظ نابضاً بالحياة ،

وحين مر اول عابر اهديته

اليه في حرارة واخلاص ،

طالباً منه ان يباركه لي ، فلعنه ومضى

« الا يهب الفرصة والحياة

بل ينزف دمعاً ودماً ابديين .

ان تستحيل نبضات الحب الى

خفقات خوف وارتعاب مستمرين ،

ان يحب الجميع كي يتمتع باشفاقهم

عليه او رثائهم من بعيد ،

وان يظل جاهلاً بما يتمتع

به الآخرون من اهل الارض » .

ولست اسألك يا الهي ان ترفع عني لعنته فهي نتيجة خطيئتي ، لكنني اسألك ان تعينه على تحملها نازفاً لهم في اخلاصه دمعه ودمه ،

لا يعبث يائساً فيلمس قاوبا آخرين ناقلاً اليها لعنته ، متحملاً رسالته الجديدة فلا يحطمها كي ينضم الى عدم او صمت ، صبوراً شجاعاً الى ان يتمتع يا الهي بحبك الهادىء العميق .

***

لست استطيع ان انتظر ،

انني اندفع في تلهف

فاغفر لي يا الهي تلهفي وانا اجاهد في عناء حتى بايمانك افوز ،

لست استطيع ان اغفو ،

انني اتطلع في تشوق ،

فاعن يا الهي عيني المسهدتين حتى تريا وجهك المتلالىء الحنون .

لست استطيع ان اصمت ،

انني اصلي في لجاجة ،

فاصغ يا الهي الى لجاجتي الخجلة المضطربة حتى تبتق في نفسي اغانيك

لست استطيع ان ابكي ،

انني ارتل في فرح اناشيدي الخافتة حتى تفنى معرعودك ، فتغمرني افراح صمتك الغني العميق .

***

لا بد ان تنصت من اجل ان تسمع ،

الصمت في الاعماق ، والهمس في الضجيج ، والسر في الانغام .

لا بد ان تتطلع من اجل ان ترى ،

في نفسك الالوان ، في ليلك

الفجر ، في الغابة الطريق .

لا بد ان تتألم من اجل ان تفرح ،

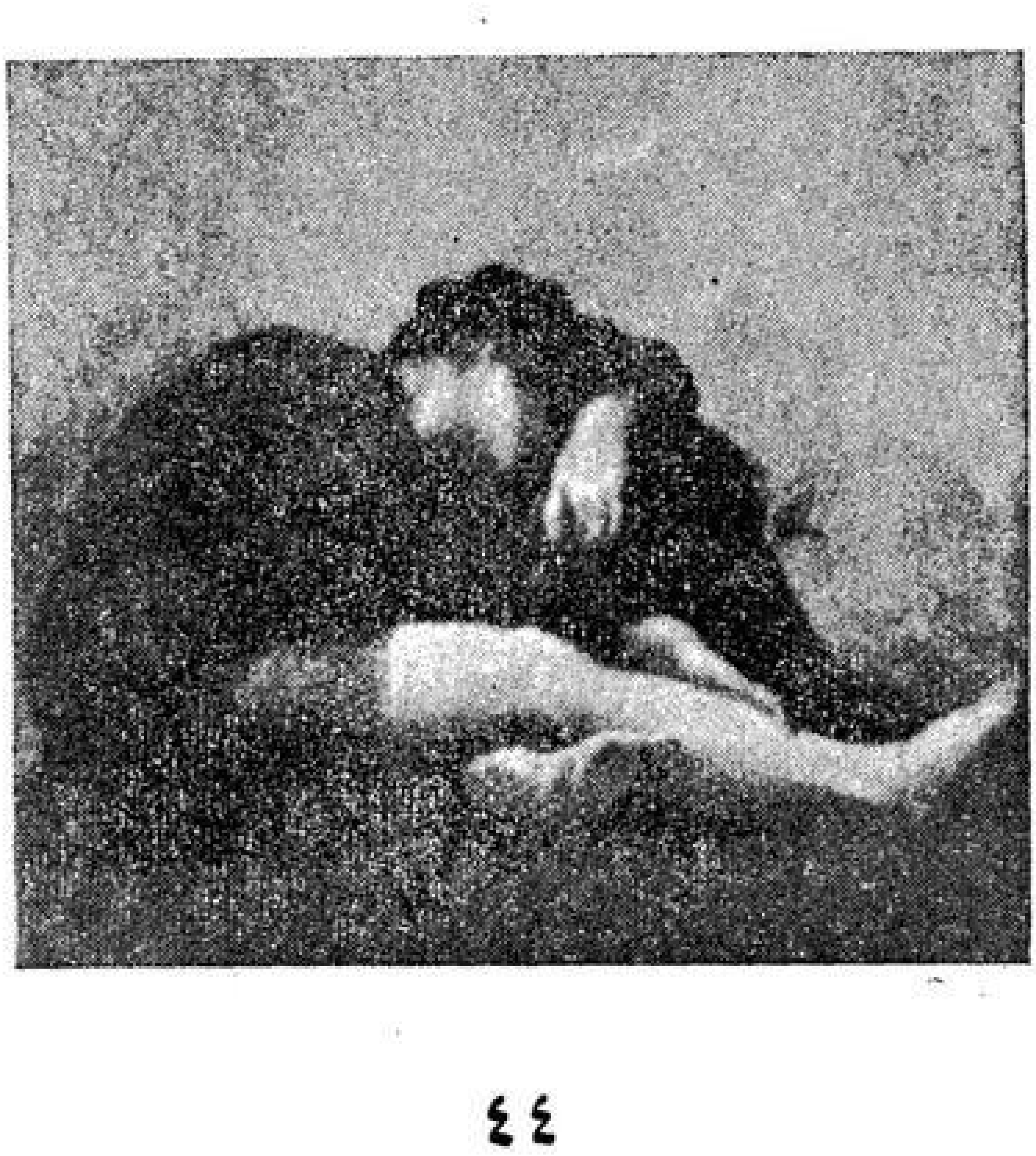
بخفقة ، بخلجة او بنهاية

عظيمة ، او راحة عميقة .

لا بد ان تسأل من اجل ان تأخذ ،

من عالم الخلود ، والفرحة

النشوانة ، كل ما تريد .



الخرطوم يوسف الشاروني

ابن الرومي طائر غرد خارج سربه

من سلسلة الامالي

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

استهلال ابن الرومي زمناً طويلاً بين الشعراء المغمورين الى ان ذر عنه غبار النسيان ونفض العفاء النقد الادبي عندما اخذ يتلمس طريقه القويم في انصاف الموهوبين الذين اغفل امرهم لبعض الاسباب. وما نرجحه ان هذا الشاعر بقي مطموس القدر مبخوس الحق حتى مطل الدراسات الحديثة لسببين رئيسيين وهما :

— ١ — ضعة الاصل واختلاطه وتبذل الشخصية .

— ٢ — اغفال شعره او ضياعه .

وان نحن استندنا الى ما جمع من متبدد شعره ، وفيه ما يفي للنظر في قيمة ناسجه استطعنا القول ان هذا الوضيع النسب الدخيل ، وما اكثر الاقلام الفذة الدخيلة في العهد العباسي ، هو ، على ما فيه من اسفاف في قدر الذات ، نادر التراث الشعري في لسان العرب . ولئن كان البحتري قد سبقه الى ابراز الفن الوصفي بروزاً رائعاً في موضوعه وديباجته واجزائه فلقد نحا ابن الرومي نحواً آخر في الوصف فكان شعره مستدقاً في صورته ومعناه مستلاً في الغالب من زوايا الاهمال او من خصائص الموصوف او من طغيان الحس. وانه في ساعات نظمه كالصائغ اللبق يجمع اجزاء ابياته فينتهي من صوغها ، وعليها ، فوق دقتها ، تماسك في النسج وابداع في الايجاد عبر عنها الشاعر نفسه اذ قال: « ما اخذت معنى الا أمته »

وهذا الاخذ الذي يميت الموضوع هو الناحية التي كانت مهجورة تقريباً ، قبل ابن الرومي .

وفي يقيني ان هذا الموسوس لم يكن مغالياً في هذا القول الحكيم ، على كره من الحكمة التي لم تتيسر له الا في بعض وثبات البداهة، فالدقة اذاً طبع يطغى وليست تعملاً يؤتى بالحيلة او بالمراس.

فهذا ابن الرومي يدس ملقط الفن الى زوايا الاهمال لينتزع من اوضع الامكنة مادة لشعره ويرتفع بها الى سماء الصورة فهل رأيت احدب طالع في صورة قلمية كأنها لوحة زيتية قبل قول جريح الرومي :

قصرت اخادعه وغار قذاله	فكأنه متربص ان يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة	واحس ثانية لها فتجمعا

وهل رأيت قالي زلابية اصبح موضوعاً شعرياً يحيا فيه الى جانب زيته الذي شبهه الشاعر بحجر الفلسفة او حجر الكيمياء، الذي ادعى العرب وجوده زمناً طويلاً ، قبل ان نظم شاعرنا المعدم ابياته التالية ، وقد تحلب ريقه :

ومستقر على كرسيه تعب	روحي الفداء له من مدنف تعب
ابصرته سحرا يقلي زلابية	في رقة القشر والتجويف كالقصب
يلقي العجين لجيناً من انامله	فيستحيل شبابيكا من الذهب
كأنما زيته المقلى حين بدا	كالكيمياء التي قالوا ولم تصب

لا تقل يا قارئي ، وما الذي يسقط من قيمة الشعر العربي لو اسقطت هذه الابيات وسقط معها ابن الرومي، ان كان لا يسمو الا بمثل موضوعها ! لا تقل ذلك، مرة اخرى ، فمثل هذه اللوحات الوضيعة الموضوع نتف فسيفساء او ان شئت أصداف نادرة في متحف الفن الشعري .

وان كنت تحب الدقة في خصائص الموصوف ، ولا سيا في الحسناء ، فاسمعه يقول في وحيد المغنية :

وغرير بحسنها قال : صفها!	قلت : امران بيّن وشديد
يسهل القول انها احسن الاشياء طرا ، ويصعب التحديد	
تتجلى للناظرين اليها	فشقي بحسنها وسعيد
ظبية تسكن القلوب وترعا	ها ، وقمرية لها تغريد
تتغنى كأنها لا تغني ،	من سكون الاوصال وهي تجيد
لا تراها هناك تجحظ عين	لك ، منها ، ولا يدر وريد
من هدوء وليس فيه انقطاع	وسجوء ، وما به تبديد

مد في شأو صوتها نفس كاف كانفاس عاشقيها مديد
وارق الدلال والغنج منه وبراه الشجا فكاد يبيد(١)
فتراه يموت طورا ويحيا ، مستلذ بسيطه والنشيد(٢)

الى ان يقول .

اهي شيء ، لا تسأم العين منه ام لها كل ساعة تجديد ؟

او اسمعه ،وقد رأى حسناء ، وفي يدها كأس خمرة ، يقول :

ومهفهف كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكؤوس الى مراشفه وتضج في يده من الحبس
ابصرته ، والكأس بين فم منه وبين انامل خمس
فكأنها ، وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

اليس في هذه الابيات ، الدالية والسينية ، صور حية تثب الى العين عند قراءتها مستجلية خصائص الموصوف مستوفية محاسنه الى حد الغاية التي لا مرمى بعدها ؟ وان في قوله :

اهي شيء لا تسأم العين منه ؟ ام لها كل ساعة تجديد ؟

جمعاً لمآخذ الروعة الجمالية يرفعها الى ذرى الاعجاز ،في استفهامين تقريريين ،يستنفد في الاول منهما ملل العين بعوامل الدهشة ، وفي الثاني يستبطن ملاحة موصوفة ميزات التجدد دفعاً لالفة الحسن التي تضعف عوامل الاعجاب ، فبقاء الشعور بسلطان الجمال على الحواس والجوانح مستمد من مثل لولبية وهمية في مجالي البهجة والجاذبية تبسط لك ، وانت المفتون بما تحسه ، دنيا دائرة من المهابه الممتعة .

وما يعرضه من خصائص الموصوف مما او ممن حوله لا يعلو الى ارفع مما يبديه من مكامن نفسه اما طغى حسه متأثراً بحب او كراهية ، ولما كانت آلامه مسيطرة على هنااته نستعين رثاءه وهجاءه على اظهار هذا الطغيان الحسي .

لو لم تكن في شاعرية هذا المتطير النابي عن المجتمع منافذ عبقرية الاشراق لما امكنك ان تقع له الا على المقاطع المظلمة الحزينة الملوحة بنار الحزن والالم والحرمان والقطيعة ،ولكن تلك المنافذ اطلت بشعره على مسارح الخلود حتى في سويقات حزنه اليائس وعيشه البائس ، فاصغ اليه يرثي ابنه الاوسط، مبتدئاً بخطاب عينيه :

بكاؤكما يشفي، وان كان لا يجدي فجودا فقد اودى نظيركما عندي
الا قاتل الله المنايا ورميها من القوم حبات القلوب ، على عمد
توخى حمام الموت اوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقد
طواه الردى عني ، فاضحى مزاره بعيدا على قرب ، قريباً على بعد

ويستمر الشاعر في اخراج لوعته على ابنه الميت اخراجاً لا يترك لك فيه مجالا لاستزادة على حزن الاب الثاكل ولا لاستيضاح وقوع الخطب الجسيم ، فالقصيدة في مجموعها فجيعة عائلية في مجلى من الفن واطار من القافية المنسجمة والالم المرير، فليست هذه الابيات مختارا منها وانما هي جزء من صدرها .

واما ما عرفناه لهذا الشاعر من الهجاء فهو ، على ما فيه من قرس وعناء في استجماع الوصف المؤذي حتى يُبرز المهجو موضوعاً للضحك والسخرية،يثير اعجابك بفنه في حين انت تكره مؤداه .

ونحن ، اذ نعرض نموذجاً من هذا الهجاء ، نود ان نجري في عرض مستندين الى جمال الادب المطلق، ذلك الجمال الذي يعجبك منسوباً الى الفن بصرف النظر عن حسن المادة المتناولة او قبحها . هذا الفن الذي كان سبباً في خلق المذهب التقريري في الشعر (Réalisme) فكان ديوان « زهور الشر » آية في الفن الشعري في ادب الغرب ،وكانت الرسوم الاستهزائية او الرمزية الشكلية (Caricature) فناً غازياً اساليب البيان عندالحاجة الى لباقة الفرس دون النزول بالشعر الى درك الهجاء المنظوم .

واليك مقتضباً من هجاء تناول به شخصاً كان قد مدحه فرد اليه شعره وقال له امدح به غيري،بعنوان، المديح المردود :

رددت علي مدحي بعد مطل وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت : « امدح به من شئت غيري» ومن ذا يقبل المدح الرديدا ؟
ولا سيما ، وقد اعقبت فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا
وما للحي في اكفان ميت لبوس ، بعدما امتلأت صديدا !

هذه اشارات الى ناحية الدقة الوصفية في شعر ابن الرومي،تلك الناحية،بل ذلك الوجه المغلف شعره كله بغنى الفن،وخليق بمن كان مثله في ضيق عيش وذهاب صحة وفناء أسرة ان يكون مخلع البيت مفقود التوازن في غنائه ووصفه كما هي حاله الطبيعية ، ولكنها كيمياء الفن تجمع الاضداد فتؤلف منها المحاسن .

لذلك نرى ان هذا الشاعر كان طائراً خارج سربه،وقع على ما لم يقع عليه احد منهم ، وعزلته طيرته فغنى من ابداعه ولم يعنه عصره او مجتمعه اعانة ذات بال في بناء شعره مثلما توفر لسواه حتى للاعمى البغيض،بشار بن برد،الذي شق له طريق«منبوذي المجتمع» .

واستناداً الى هذا الارث الفني النذير استحق ابن الرومي مرتبة خاصة اعلاها بعض اساتذة الادب، في دراساته الحديثة ، فوق شعراء العربية جميعاً في مختلف العصور .

نسيم نصر

---

(١) براه : اضعفه . الشجا : ما يتخلل الصوت من الغصة المستملحة في الغناء
(٢) البسيط : ما رق وامتد من الصوت . والنشيد : رفع الصوت والترنم

ما اكبره قلباً

للكاتب الايطالي **انطونيو بلترامِلي** ترجمها عن الايطالية **مصطفى آل عيال** ليسانسيه في الآداب

●

ولد بلترامِلي Antonio Beltramelli عام ١٨٨٠ في مدينة Forli من مقاطعة Romagna اجمل المقاطعات الايطالية حيث المروج الخضر والجبال الشم والاشجار الباسقة تناطح الجوزاء والاودية العميقة السحيقة والينابيع المتفجرة الرقراقة . هذه الطبيعة الخلابة كان لها صدى أي صدى واثر اي اثر في نفسه وعقله . وسرعان ما اختمر فيه القاص والروائي والشاعر . ولم يبلغ العقد الثالث من عمره حتى كان لنا مكتبة وافرة من تآليفه في اشتات المواضيع وكلها مفيدة فيها الشهادة الكافية بنبوغه وخصبه . ومهما نخش النقاد تآليفه ونالوا من لغته من حيث البلاغة والبيان فان بلترامِلي فنان يستحق التقدير بخصبه وسعته

☆☆☆

كان ما كان : ام حنون رؤوف . وما كان لها غير ابنها الطفل الرضيع وقلبها الكبير الوديع وساعديها المفتولتين لتشتغل بهما وترد غائلة الجوع عنها وعن عصفورها الازغب .

كان ما كان : ام عاشت وطفلها وحدهما لا انيس لهما في بيت منفرد منعزل لا يجاورهما احد ولا يزورهما احد .

كانت الحقول والمراعي واسعة جداً غناء مثل قبة السماء الزرقاء وكان البيت صغيراً جداً واكبر من هذا وتلك قلب الام العزلاء التي كانت ترعى طفلها الوحيد في غلس الليل ووضح النهار .

وما يكاد الفجر يتربع في عرش السماء حتى كانت الرعيان تخرج الى المروج الخضر حيث العيون المتفجرة يسوقون قطعانهم امامهم متلاحقة متلاصقة ويمرون بالبيت الاعزل . ولا تكاد آخر اشعة من الشمس تودع الكون وما فيه حتى يعود الرعيان من حيث قصدوا في الصباح مارين بالبيت الوحيد ويقولون للام الارملة المنتصبة على العتبة وكانت لا تزال شابة كالزهرة في الاكمام

— ايتها الفتاة الجميلة لماذا لماذا لا تأتين معنا وتصحبيننا في حلنا وترحالنا . — فكانت تجيبهم .

— ان سيدي الصغير في سريره . انه يريدني على الدوام بقربه ولن اسمح لنفسي بمغادرته .

وفي احد الايام قال لها واحد ممتطياً جواداً اغر وهو يمر بالقرب من عزلتها . — ايتها الفتاة الحسناء هيا معي . اركبي خلفي واصحبيني فستصبحين قوية بي وغنية ذات جاه .

ابتسمت له بدون غيظ واجابته . — ولماذا اتبعك طالما ان حبيبي جاث فوق سريره . لماذا لماذا اتبعك ، انا بالجهد اشبع حبي ولن اطيق العيش بدونه .

***

كان ما كان : ام عاشت وابنها في عزلة رهيبة وفي بيت منعزل . مرت اسراب السنونو في السماء ، ومرت الايام والسنون . كبر الطفل والام لا تزال تشتغل من اجله نهاراً وليلاً من المساء حتى الصباح ومن ظلمة الليل حتى الفجر . تلك المخلوقة الدمثة وصلت الزمن كله بعضه ببعض للعمل من اجل ابنها وحبيبها . ومضت الايام والسنون .

— انك تهرمين ...، قالت الرعيان .

— انني اهرم .— رددت هي بصوتها العذب الحلو . وكانت جد تعبة ومع ذلك كان الرضا والارتياح يشعان من عينيها والابتسامة الملائكية تتألق بين شفتيها .

كان ما كان : ام ولها ابن ولها قلب كبير وذراع لا يكل عن العمل والكدح .

كبر هذا الابن واصبح شاباً مفتول الساعد بهي الطلعة عريض المنكبين جميل القوام. لقد صاغه الحب وكم للحب من معجزات .

وكبر الابن وهو لا يعرف شيئاً عن الاوصاب التي كابدتها امه ولا تزال تكابدها . كبر مدللاً معززاً مرفهاً .

كان الرعيان يمرون عند الفجر كعادتهم ويعودون في المساء. وفي كل صباح ومساء يسائلون الام :

— اين الزهرة التي تعهدتها بدموع عينيك وسقيتها من رحيق حبك .أين الزهرة اليانعة ولماذا لا تصحبك وتعمل معك لتخفف عنك او تسليك . كانت الام تبتسم لاسئلتهم من اعماق قلبها وتجيبهم بهدوء لا مثيل له :

— ان ولدي بعيد وبعيد جداً .

ان زهرتي جرت في الحقول المعشوشبة فركضت وراءها اسراب الفراش لتغازلها .

ان ابني لا يزال غض الشباب طري العود .

انا وحدي علي ان اكدح واشتغل .

***

كان ما كان : ام وحدها كالكوكب المتألق في السماء ، نما وكبر الفتى كما ينمو ويكبر نبات اللبلاب وهو يلتف حول جذع الدردار الضخم. ثم تموت شجرة الدردار ويبقى اللبلاب ليستمد الحياة من ذاك الجذع القائم . كبر الشاب ولم يفكر بعد بالعمل والكدح .

وواصلت الام المسكينة عملها وكدحها بما بقي لها من القوة. اشتغلت وابتسمت ، والايام والسنون لا تزال تتعاقب واسراب السنونو تمر وتمر، والرعيان والشيوخ قد هرموا واصبحوا في ذمة الدهر.

بقي ذلك المخلوق العذب الحلو، بقيت تلك الام الملاك تكافح باصرار كالرحى التي لا يعتريها دوار مهما طحنت ودارت . كافحت وناضلت من اجل حبها من اجل ولدها وفلذة كبدها .

كان العمل يضنيها رويداً رويداً ويستهلك ما بقي لها من القوى. اصبحت مسنة كالارض ، او كالجبال الراسخة او كالسنديانة العاتية فانحنى ظهرها وطأطأ رأسها .

وفي احد الايام رجعت الزهرة من حفلة الرقص قريب الفجر وقالت لبستانيها : — اميمة اني بحاجة الى المال .

—اني لا املك شروى نقير يابني—وطأطأت رأسها حزينة كئيبة.

—ولكني بأمس الحاجة الى المال. اني سأموت ان لم احصل على المال.

ولم يأت المساء. حتى كان المال حاضراً فحمله الشاب واسرع الخطى نحو الخلاء على اجنحة الفراشات حيث اللهو والعبث واللذة الحمراء.

***



كان ما كان : ام ولها قلب اكبر من البحر. كان ابنها يمضي اوقاته في الملاهي ملاهيه هو وملذاته . اما هي الام فكانت لا تزال تشتغل وتنتظره . باعت مسكنها لتعطيه المال. ثم باعت الحقل من اجله ولم تتأفف ولم تشتك .

في احد الايام ، في يوم كالح حزين عندما اصبحت الام اكثر عزلة وافقر ، في يوم بئيس تعيس نظرت الى الافق البعيد البعيد جداً وتأوهت لاول مرة وانتظرت. وعبثاً انتظرت. لم يعد فتاها. ان الزهرة انفت من الرجوع الى ساقها الى ينبوع الحياة . احيت الليل بانتظاره فلم يعد . امتد انتظارها الى ايام اخر وليال اخرى. ان ابنها لم يعد .حينئذ وحينئذ فقط شعرت بأجلها يقترب. احست بالموت يسرع اليها بخطى العمالقة .

رفعت عينيها الى السماء وابتسمت. ثم شبكت يديها فوق صدرها وتكلمت :« بني يا مجاور الروح ويا فلذة من كبدي. لقد اعطيتك كل شيء. وقد اخذت مني كل شيء .فخذ ما بقي الآن لي. خذ انفاس حياتي الاخيرة يا حبيبي وليباركك الاله الاعظم». ثم اطبقت عينيها وفاضت روحها .

كان ما كان : ام وكان لها قلب ما اكبره اكبر من البحر.

مصطفى آل عيال

تيودر

بقلم الآنسة جهاد غزاوي عولي

☆☆☆

القمر تغطيه غلالة رهواء من الغيوم . والسماء تمطر رذاذاً والنجوم تأتلق بين الحين والحين ، ثم تخبو وتختفي لتعود بعد برهة فتأتلق ، ومعابد مدينة الشمس تجدمع صريرالهواء في الخارج قدرة الله في خلقه وقدرة الخلق في جلدهم وحذقهم ، واصوات متماوجة من معبد « جوبتر » تتصاعد مليئة بالاستعطاف مليئة بالخشوع ، تطلب الى الآلهة غفراناً ، ومقابل هذا الغفران قرباناً اعدته تلك الجموع المحتشدة لتلك السنة غالياً ، فقد كاد الضرع ان ينضب والزرع ان يجدب وهي ان قصرت في السنة المنصرمة فلم تهرق الدماء كلها زكية طيبة فانها الآن توفي حقها زائداً غير منقوص ، وها كها : قد اعدت سرباً من الصبايا الحسان الابكار بينهن ابنة الامير وابنة الكاهن وابنة المعبد وابنة التاجر بقدودهن المتأودة وخصورهن الضامرة ، وقد انحلت شعورهن الكثة ، تتماوج على عري الاكتاف ، وبدت في نظراتهن شهوة عجيبة الى التضحية ، شهوة عمياء طغت حتى على ذلك اللألاء الفياض الذي تضعه الحياة عادة في عيون الشباب ، فهن اذ يرقصن على النغمات الهازجات تخيل اليك كأنهن يمشين متعجلات الى حتفهن الا « تيودر » الصغيرة ربيبة الهياكل العفراء التي التقطها يوماً الكاهن الفتى موقد البخور وليدة مدرجة في اقمطتها عن السلم الكبير عند مدخل الهيكل ، ونذر لتكون هانئة في كنفه اذا هي عاشت ومنت عليها الآلهة بالحياة .

اجل ، الا تيودر التي كانت تسترق النظرات القلقة الى زاوية الهيكل بين الفينة والفينة حيث يتضوع البخور في الغرفة الصغيرة الملاصقة لمعبد جوبتر قوياً نفاذاً .

> في مدينة بعلبك ، حيث تجثم هياكل آلهة الشمس شامخة بخرائبها المدلة بقدمها على الزمن ، حدثت هذه الاسطورة التي ان لم يحفظها التاريخ بين دفتيه لقدمها فقد وعتها آذان الاسود الحجرية ، ووشوشت بها العماد المنتصبة ونمت عنها السلالم السرية الضيقة وشهدت عليها احواض الذبائح الآدمية

وهبت ريح من الخارج فأطفأت كثيراً من الشموع وتلبدت الغيوم في سماء بعلبك حتى اخفت عنها وجه القمر وحجبت النجوم ، بينما كانت الصبايا الضحايا يسرن نحو البركة المستديرة المعدة للدماء ليدرن حولها مرات ، ثم يقدمن رقابهن على التوالي برشاقة واستسلام ، قد اشرقت على وجوههن ابتسامات وضاء .

وتلكأت تيودر ، ذات العينين الذابلتين والشعر السبط برقصتها ، تلكأت وهي ترتعش حينما رأت الدم الاحمر القاني يصبغ بلاط البركة الاملس .

وكانت الانغام تعلو وتثور واضواء الشموع تشحب شيئاً فشيئاً ، والبخور يتصاعد من فجوة في الحائط كثيفاً يضرم الانفاس ويخدر الادمغة ، عندما انسلت تيودر من بين صفوف الراقصات بخفة لم يلحظها احد ، بعدما التقت عيناها عيني الكاهن موقد البخور ، انسلت اليه واجفة القلب موزعة الضمير حتى اذا القت بنفسها الورعة على صدره دارت بينهما هذه المحاورة الخاطفة :

— اي ابنتي الطفلة ، جعلت فداء شبابك البريء . ولكن ماذا تريني فاعل من اجلك في مثل هذه اللحظة الدقيقة ؟

— انك لا تعدم وسيلة حازمة تخلصني بها يا ابت ، وان اشكل عليك ايجادها فاقتلني انت ، فاني لاستعذب الموت من يديك

الرحيمتين وبين يديك، واني لاسرها لك الآن، فاغفرلي ياابت وامنحني عطفك الذي منحتنيه مدة حياتي!

— وانا يا تيودر اولا يفت في عضدي ان تقفر هياكلنا هذه من النغمة المرواح التي طالما تجاوبت بين الجدران الخرساء. فسكبت على رهبتها نعماء العيش وحيويته؟. اولا يؤلم اباك ان يفقد الطفلة اللعوب التي اترعت طريق حياته بالورود وسكبت محبتها افانين على قلبه الجاف، انني لا استطيع يا تيودر ان اتركك لقمة سائغة لفم الفناء الجشع، كلا لا استطيع!

وضمها بشدة الى صدره وهمس بأذنها كلمة. وتطلعت هي اليه بعينين مغرورقتين بالدموع وشرقت بها، ثم تبعته لاهثة.

اما كيف اخترقا تلك الجموع الصاخبة واما كيف وصلا الى هيكل باخوس — اله الخمر — حيث انسلا منه الى السلم السرية المحفورة في قلب الحائط المنتهية الى سطح الهيكل. فذلك كله لم يفطن اليه احد، الا ان بعضهم قد فطن الى ان تيودر، اصغر فتاة بين الضحايا لم تقدم رأسها الفاتن للمذبح فيمن قدمن، فكيف اذن تبخرت هذه الفتاة.

وعم الهرج والمرج وكفت الاصوات عن النشيد ودوى صوت الملك الاكبر آمراً الكهنة بالتنقيب عن الفتاة المجرمة — التي اجترحت في حق الآلهة ما لم يجترحه قبلها احد — في كافة انحاء الهياكل حتى لا تغضب الآلهة، وتنذرهم بالويل والثبور.

وراح الكهنة والحراس يجوسون الهياكل العظيمة مكاناً مكاناً من الدهاليز الى السراديب، ومن المعابد الى غرف الحراس، ومن قاعات المتعبدين الى دواوين المرضى، ويتسلقون الاعمدة الملساء علها تكون مختبئة في فجوة من الفجوات الهندسية او ضمن تجويف رأس اسد من تلك الرؤوس الكبيرة المطلة من عل، ولم يتركوا سلماً من السلالم المخفية في داخل الحيطان الا صعدوا منها الى السطوح لاهثين منقبين، وتفقدوا الابواب الموصدة جميعاً وكذلك البابين الخارجيين الكبيرين فلم يربهم من امرهما مريب.

وهكذا كانت جهودهم كلها تذهب عبثاً، وهكذا كان الوقت ينساب راكضاً متعجلاً والمصلون ينصرفون حيارى متهامسين، حتى اذا بدا الفجر يتبلج، وآن اوان حرق البخور في هيكل جوبتر تفقدوا الكاهن يا تيودر فلم يجدوه، عندئذ، فهموا شيئاً وغاب عنهم شيء آخر.

فهموا ان الكاهن وربيبته قد فرا خلسة، اما جبناً واما كفراً، واما تواطؤاً.

على ان الذي لم يفهموه جيداً، هو انه كيف تسنى لهما الهرب دون ان تهلكهما الآلهة وهما في سبيلهما او ان تردهما صاغرين الى المعابد لتنكل بهما!!

والى لليوم، ما زالت النجوم الباهتة التي شهدت وحدها حقيقة الامر حينذاك تتهامس متسائلة. هل هما حقاً كانا مجرد بشريين رفعتهما الآلهة الى السماء بفضل المحبة الخالصة التي خفق بها قلباهما العميدان وانعمت عليها بالخلود، ام انهما الهان من الآلهة نزلا الارض على حين غرة ليستطلعا شؤون الناس ولما ضايقتهما الطقوس المتنوعة الظالمة التي فرضها هؤلاء الناس على نفوسهم في غير مهدر رجعا الى عالمها الطلق بعد ان عاشا عيشة الانسان وبلوا سجنه المحدود.

طرابلس — جهاد غزاوي عوني

هـــروب

في دمي رجة من الثورة الكبرى على هذه الدنى والعوالمْ
راقني في الكمال مورده الصعب واغرى به جمال الملاحم
وسباني من الحياة رؤاها .. اين من فتنة الحياة الحالم
كل شيء حولي يثير بنفسي املاً كامناً وثورة ناقم
لا أبالي إن تدحرج دوني لا ابالي بهين متعاظم
كل سؤلي من الحياة رؤاها وخيال بين الحقائق هائم
واهازيج لا يعود صداها ودنى ملؤها الاسى والولائم
لست للخير او الى الشر ادعو : ليس تحلو الاعياد دون المآتم

***

يحلو لنفسي اذ تتيه بكل داجية الظلَمْ
في كل غور دامس ما بين انقاض القدم
ما بين افياء القبور ، وبين اشلاء الرمم
اوان تحول الى سحاب اد كن فوق القمم
وتظل تائهة هنالك تستجم وتستحم

***

لست بالشاكي من الدنيا هبوطاً اوصعودا
او من الآمال والاسهم نحساً او سعودا
قد كفاني ان لي هذي الرؤى حلما سعيدا
هذه الافلاك تندك ولكن لن تبيدا
هذه الايام تنشل وتستقصي الخلودا
هذه الاطيار تشدو وهي لا تدري النشيدا
وكفاني انني ان شئت غيرت الوجودا
لي في دنياي ما شئت نهوداً وورودا
لست بالشاكي من الدنيا هبوطاً او صعودا

***

بيد أني اشكو لجوني الى اليأس مراراً وتارة للأماني
ولكم فر بي حنيني الى القهر او ارتاد بي مروج الجنان
وسباني الناعي بانة حزن وسبتني مهد هدات الاغاني
لم اجد - آه - بغيتي في دموع صامتات ولا بضحك الغواني
هارب .. هارب انا ليس يحلو لي ناء من المنى او داني
لاعب .. لاعب انا لا أبالي بنصيبي او حصتي في الرهان
وسواء لدي ان بسم الحظ وان عشت دائب الخسران
ام علتني التيجان ارفل في المجد أم اندك عاتقي بالهوان
فوراء اللذات بعض سراب ووراء الشقاء لذة عاني
ووراء الذي نزيد من الفاني طيوف الخلد اللافاني

***

فليكن! .. ثم ما هنالك من خلف الضمير المروع المجنون
بعض ماينحت الخيال اذ اتاه بليل من الاكاذيب جون .
ابدنيا الرؤى ودنيا الفنون نتعزى عن جرحنا المكنون؟
بين سور مدور ليس فيه منفذ للسماع او للعيون
غير باب قد اوصدته الشياطين تحدى القرون تلو القرون
دونه - وهو صامد - كم وقفنا نترجى الخلاص بعد الهون
يتعالى صراخنا في الليالي فيبيد الصدى وراء المنون
في دنى لا يحيطها غير افق من شكوك او طلسم من ظنون
والذي يبتغي وراء المآسي او وراء اللذات بين المجون
قبساً او شرارة من يقين انما يبتغي منى مأفون

***

لست بالغر وما اغواني - الدهر - السرابُ
بل تجلي « الحق » لي و« الحق » طرف ونقاب
ورموز خلفها الصفر واحلام عذاب
واندفاع مرة في اليم او اخرى انجذاب
وذهاب حيث لا مأوى فرجعى وإياب
حيث لا مأوى .. فما يجدي اخا اللوم العتاب
والحكيم الحق من ديدنه ذا الانسياب
كالافاعي .. في رمال يصطلي منها الاهاب
كلنا نعوج او نرفض والقفر يباب
كلنا يتطمح للفر .. وما للسجن باب

باريس — ادريس الجائي

ضمـــير

مات امسي الجميل بين ذراعي فوسدت نعشه في شعوري
مات امسي ولن يعود ويومي سوف يقضي من هول ذاك المصير

وغدي ، ما غدي ؟ سيأتي ويمضي مثل يومي مشيعاً بالصفير
وحياتي الجوفاء هل هي الا صفحات من كبرياء حقير
صارت الكأس من وسائل محياي وسكري لوناً من التفكير
غير اني ولو اخدر اعصابي فلن يجلو الاسى تخديري
ولو أني ضحكت كالناس يوماً عدت ابكي وعاد يبكي ضميري

بغداد ابراهيم عوبديا

يا جدولي

قد عدت بعد الهجر يا جدولي اعيش في ظل الهوى الاول
قد عدت مخموراً . على جبهتي نور المغيب الاصفر المشعل !
يذيبني الماضي بايمائه ويوقظ المدفون من مأملي
يا مهد حبي الطفل يا منعشاً زهر الهوى من مائك السلسل
كم جئت والاوراد نعسانة يطفو الندى في ثغرها المقفل
اسير بين الزهر ، في خاطري اسطورة من حبي الامثل
احث خطوي نحو صفصافة محجوبة عن اعين العذل
تلفنا بالصمت ، اذ نلتقي ، اضمامة من شعرها المرسل !
يا جدولي المحبوب يا معولا ما كان قبل اليوم بالمعول
اتيت وحدي الآن مستعرضاً اطياف امسي الازرق المخملي
اتيت . . والنيران مشبوبة في اضلعي والصمت في مقولي
اعيش في ظل الغصون التي عن ذكرنا المعطار لم تغفل !
يا جدولي هل كان عمر الهوى صيفاً . . كعمر الورد والسنبل

فؤاد الحشن

نعش تائه

ليل . . ومقبرة . . ومنبوذ بلا خفق طريح
هفت الرموس لنعشه . . وتنفست صمتاً وريح
في كأس جمجمة يريق شبابه يأساً جريح
فترف نازفة النطاف . بجتفها ولهى . . تصيح :

بُعث العدم . !
في جنة تلظى . . يلف ربيعها فجر اصم
أنبته حباً . . فأزهر واضطرم
وارقته عطراً اغم
ناراً ودم
يا بعث من قبر الى قبر . . حياة في عدمْ !
. . في خاوة الا من الديدان تعبث والنسور
ودعتها . . ومضيت احصد في متاهات القبور
وعلى ضريح النور من زهر الصبا ناحت عطور
وتنفست جثث من الماضي باحلام تمور
وأنا . . أنا . صمت يرن . نار تجن . نعش يئن
بين القبور !.
نعش تشيعه التلال
لا يستقر به ضلال
لو هاج اعصار . ! وهذا النعش في افق الزوال !
يا رب . . والاقدار تدمي
يا رب . . والايام تعمي
يا رب . . والاهوال تهمي
يا رب . والنعش المضلل عافه حتى الفناء
يا رب . لا دنيا . ولا امل . فناء ام بقاء ؟.
يا رب . ذرني في الفضاء اذوب في نفس الهواء
يا رب . . والموت المعف . . الى متى هذا الشقاء
يا رب . ؟
الظلمة الغماء . . تلبي
الفجة الدهماء . حبي
اللفحة الرعناء . . ذنبي
لا شيء الا والظلام نداء اشباح تلبي
يا ريح . ! يا بنت الجنون . ! على لظى البركان هبي
ثوري . . ابيدي . . اعصفي جبارة في كل صاب
دكي الصخور . .
هدي القبور . .
وارمي بنعشي للنسور . .
يا ريح . . هبي . !
اين الردى . ؟ هذا الصدى . . يدوي سدى

غداد لطفي جعفر امانه

مكتبة الاديب



النشيد التائه

للآنسة ثريا ملحس – ١١٤ صفحة – حجم صغير – ورق صقيل مع لوحات فنية – منشورات دار الكتاب – بيروت

الفن ، والشعر طرف منه ، هو مادة انسانية الانسان ، يُغني الروح ، ويسمو بها ، لانه يعبر عن اسرارها ، فهو كما يقول «امرسون» بحق : « المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الاشياء والمعاني » .

وشعرنا المعاصر يشكو فقر الدم ، فهو ناصل مكدود ، معوق عن مسايرة طموحنا . ومرد ذلك – فيما اعتقد – حيرة الشعراء بين نهجين : فأنصار القديم يغلب عليهم الجمود والاستعباد للفظ والمحسنات ، واكثر شعرهم خطابي او تقريري ، يعتمد على الذهن اكثر مما يعتمد على الخيال : فهم يهتمون بالاداء اللفظي لا بالاداء الوجداني ، والتجارب الشعرية ان وجدت في آثارهم ، بدت مشوهة لانها مفتعلة لا يميزها عبير الصدق ! . وأما انصار الجديد فقد استهوت معظمهم «هوسة» المدارس الاوروبية المتطرفة ، دون ان يستوعبوها او يستعدوا لفهمها ، فأضاعوا طابعهم دون ان يحظوا بطائل ، فهم يخرجون ما لا داعي له الا التقليد الفج او التفصح الغليظ او الاغراب حتى يصبح الاغراب نفسه مصدر لذة ملتوية لصانعيه !!

ورأيي في الشعر مولع برأي « هوراطيوس » : « هناك امور نقبل ان نقر لها بالتوسط ، لكن لا الناس ولا الآلهة ولا اعمدة الوراقين ترضى ان يكون الشعراء اوساطاً . فكما ان الالحان المتنافرة تسبب الاشمئزاز في وليمة بهيجة ، اذ لا ضرورة تدعو الى وجودها ، فكذلك القصيدة التي تقصر عن القمة ولو قليلاً » .

وانا ، بعد ، مؤمن ان الفن عامة والشعر خاصة ، من مقتضاه ان يكون ذا أثر خلقي ، دون ان يتنطع الشاعر للمناداة بمذهب معين . فالانفعالات المخدرة التي تهدف الى الاثارة المقصودة لذاتها لا تصلح موضوعاً للشعر ، انما موضوعه اختيار ما هو اسمى وأبقى عن ارادة حرة .

... ومؤمن أيضاً ان الشعر يجب ان يقوم على دعائم ثلاث : موضوع وخيال وأسلوب او « تجربة جديدة ، وانفعال صادق ، وافضاء جميل » فالموضوع ، هو ان الشعر ككل فن ، ابداع لتجربة شعورية . واداة الابداع هي «البصيرة Intuition » القادرة وحدها على ايجاد الاشواق . وهي طبقة فوق العقل . وفيها نفسها وسائل تطورها نحو كمالها ، هذا دون ان انسى ان مصادر هذه «البصيرة» الاولى ، هي مجموعة غرائز تهذبت ، وارعوت ، حتى انطوى ضرامها واندحر ذميمها الى مسارب العقل الباطن ومجاهل النفس الخفية ، وهنا – كما ترى – يلتقي « بيرجسون » العملاق ، مع « فرويد » العظيم !!

اما الخيال ، فهو القدرة على التحليق ، على الانفعال الصادق مع العالم الخارجي .

يبقى الاسلوب . . وهو القدرة على التعبير . . بل على الافضاء افضاء موحياً جميلاً ينقل الهزة الى السامع او القارىء . وهي قدرة تقوم على مقومين من موهبة وكسب ، فلا تتأتى بغير طبع صاف وأصالة عميقة يسندها احساس لفظي بأسرار لغتنا العظيمة ، تلك اللغة المعطاء التي تكاد تحس لالفاظها – لدقة الدلالة والاداء – صوتاً ولوناً وشميماً .

هذه الدعامات الثلاث ، تشترك لاحداث التأثير والايحاء ، فتحرك في النفس نوازع الكمال ، وتساعدها في التناغم والاتساق . اذ – كما يقول « افلاطون » – : « من كان ذا نفس متسقة ، كيف يكون متعدياً ؟! » . وهذا المطلب هو غاية كل فن ، ينبثق من آيات الفنان انبثاقاً تلقائياً عضوياً بسيطاً ، كالسيل الذي من مقتضى طبيعته ان يجري ، لا قسر . . ولا ارهاق . . ولا اختيار .

فالشعر من ثم ، يجافي الايهام والابهام ، كما ينبو عن التزويق والطلاء لانه مظهر للجمال ، فيجب ان يكون صافياً كالجمال ، غير ان الصفاء هنا لا يعني « السوقية » بل لعل الغموض الدائم النبض الذي يبعث على التداعي وشتى الاحتمالات التابعة من المدى الفسيح . لعل ذلك ، بل ان ذلك يضفي على العمل الفني ظلالا غامرة الاشعاع ، وانغاماً باهرة الايقاع !! .

هذه مقدمة للتعريف بطريقتي ومذهبي في تناول الشعر وذوقه سقتها في معرض الحديث عن مجموعة الشعر الرمزي المنثور «النشيد التائه » التي اخرجتها للناس اخيراً يراعة الآنسة الفنانة «ثريا ملحس» في ثوب انيق شكلاً وموضوعاً .

جاءتني هذه المجموعة الفريدة من الومضات والنغمات والنفحات ، كلحن مسعد متفلت من قيثارة ملهمة .

جاءتني .. بعد طول تشوف وشوق ، فتلقفتها ببشاشة المستلهم ، وقبضت عليها كبد الضراعة المستبشرة ، وأنست بها أنس الغريب المصحر ، بوارف الظل وناعم الصحبة .. ووفت هي - حقاً - بعهدها فأوحت كما ينبغي ومنحت من رفدها الكثير. وقلت لنفسي ، وانا اتحفى بها واحنو عليها : « ان اصدار آنسة . أية آنسة .. باكورة اعمالها ، في هذا البلد حدث يستحق التنويه ، فما بالك اذا كانت الآنسة هي «الثريا» وكانت الباكورة، هذا النغم الجهير . هذه اللوحات المصنوعة بريشة مزهوة الانطلاق، مجنحة الاداء، لا تأبه لغير جوها ، ويحول تحليقها فوق السحاب - اكثر الاحيان - دون رؤية ما يعج به « كوكب الالم » هذا من دماء ودموع ؟ !

واني لاعترف ، بأن ما كنت اقرؤه « للثريا » في هذه المجلة الصاعدة ، تفاريق كحسو الطير ، كان مما حبب الي ذلك اللون الغائم الملفف بالضباب ، وحفزني الى طلب المزيد حتى استطبت مصاحبة كبار الرمزيين من امثال « فاليري » و« فرلين » و« رامبو » قبل انحرافه الى « السريالية » واستطعت ان أجري في مدى ضيق من شرودهم الهيمان ، فأقف معهم على شاطىء لازوردي وراء المحسوس لارى ببصيرتي ارتعاش الكيان الانساني في مهب المقادير!

و... بعد ! ترى هل استطاعت هذه الطليقة .. هذه الفتاة المرهفة التي «قلبها اوتار وأصداء، وعيناها نبعتان» ترى هل استطاعت « الثريا » ان تمنحنا قيماً جديدة ؟ هل استطاعت ان تلهمنا ونحن نتوقل معها الذرى ونتبطن الاغوار بين احلام اليقظة ورؤى العقل الباطن ؟ وبأية مدرسة من مدارس الرمزية نستطيع ان نلحق هذا الجو المتراوح بين الهمس .. والزعيق ؟ ! ثم .. ما لون تجربتها الذاتية ، وهل استطاعت ان تنسحب الى الخارج ، وهل هي تعتمد في ايحائها على النغم الشفاف والموسيقى الدافئة ، ام على سحر اللفظ المغرد المثير ؟! وهل هي تهفو الى ابراز المضمر باللمحات الرصينة والايماءات المركزة ام هي تعرض التجربة خطفاً بارتجال ملهم ينقلك معه حيث يطير ؟!

واعترف مرة اخرى ان الجواب البصير على هذه الاسئلة وشبيهاتها ليس هيناً ولا مبذولاً ، فالرمز كما لا احتاج ان اقول ، يتشمس على التنسيق والتحليل .. والتقييد ، لكنني استطيع ان اقرر بكلمة جامعة ان الآنسة شاعرة ذات لحن أصيل ، وذات طاقة واتجاه ، وان كتابها ، محاولة ناصعة تأخذ مكانها بين احسن ما عرفته العربية من شعر اللوامع والرموز !

الانطباعات الاولى التي خرجت بها من صحبة الكتاب ، هي ان آنستنا عميقة الذاتية ، وبذا لن نفتقد في قصائدها العنصر الشخصي ، حتى لتكاد تجس ارتعاشة الروح ، واشراقة النفس ، وشغف الحواس . وهي حين ترسل انفاسها على هينة واسماح ، تجيء صافية أثيرية الوشاح لها ترجيع ورنين ، مع تطلع وحنين . لكنها قد تنبو احياناً فتتردى السحاب وتمعن في الضباب ، وتلف ما يهوّله لها وهج حسها ، من غربة ورهق في طراز عائم من نزوع رومانتيكي متعال ، فتفجؤك انفعالات جامحة من رواسب العقل الخافي ، في عنف صارم مرير النغم مفرق في الشطح والتخييل ! غير أنها في جميع حالاتها مؤرقة بالقلق الروحي والقصور عن ادراك الكمال تتناول حقائق النفس الباقية فيفسح لها ذلك في مجال انطلاق تجاربها الذاتية الى العالم الخارجي ، وتعبيرها على الغالب هفهاف مؤنس يدل على جمال النفس وصفاء الروح ، وفي مقدوره ان ينقل القارىء الى جوه .. الى معاناة تجربته .

واذا كان لا بد من مزيد ايضاح ، فأنا انكر من الشاعرة الصديقة اغراقها في الذاتية ، فالفن عزاء وسلوى وخلاص لقائليه وسامعيه على السواء . وشعر الابراج العاجية ، شعر مترف مبتوت الصلة بآلام المجتمع ، وهي آلام اكبر وأقسى من ان لا ترى ولا تحس ! وانكر منها ايغالها احياناً في متاهات التصوف السلبي ، الذي اورثها ذلك التشاؤم المعدول به كثيرا عن وجهته . فانا افهم ان الالم نبع الصفاء الانساني . الالم الرفيع اقصد .. الالم الذي تهفو به النفس الى انسانية اعمق من انسانيتها وسعادة اسمى من سعادتها ذلك هو ألم الحنين الى المجهول لا ألم الملابسات الناجم عن قسوة الدار ، وظلم الاهل ، وفسولة البيئة! جميل ان تشرق الصدمات الظالمة المًا ذاتياً محضاً ، لكن الاجمل ان تسامق تلك الصدمات ، عمق ارواحنا ، واشواق قلوبنا .

جميل ان يتمرد المرء على القيود ، لكن الاجمل ان يظل دائماً يهمس بالشجو الحزين ! الشجو المتفائل . وهو في صميم المأساة .

واذا كنت اعتز بألمي فلأني اراه السبيل الى الفرح العميق . وليس يفوت الآنسة ، وهي من المنجذبات ، عن فهم وتأمل ، الى دنيا الموسيقى « السمفونية » لست احسبه يفوتها ان اعظم اعمال الموسيقيين الكبار شجن آسر منغوم يعبر عن النزاع بين القدر والبشر : ظلم ، فشكوى ، فمقاساة .. ثم حنين ، فانتصار ، ففرح عميق !

وانما انكر التشاؤم المردي الخائر لاني ارى الحياة المثلى نضالا دائماً في سبيل ان يلك المخلوق شيئاً ليحقق وجوده باعطائه ، في دعة لا تطلب جزاء ، ويسر لا يعرف تعالياً .

ولو تدبرت الكتاب بهذا المقياس ، لحذفت غير آسف ، القصائد العاتية التي لها زمجرة وحشرجة وعزيف كـ « تمرد ، خريف ، يأس ، عاصفة » فهي تجارب مموهة ورؤى مشوهة وخواطر منحرفة يلوي بها الجفاف . ثم لاستزدت من القصائد السمحة الهامسة كـ « النشيد التائه ،

وغنوة ، وراهبة ، وشرود، وصلاة » فهي حقاً لوحات مشحونة بالهزات الوجدانية ، زاهرة التلاوين، وريفة الظل ، ساخنة النزوع.

ولست احب ان أصدق ان الآنسة في مثل سنها وميعتها .. ورقتها تخشى النهار وتحب التدثر بالليل . . بالليل . بالقبر، والعياذ بالله.

ولا احب ان اصدق ان الآنسة الغالية في مثل سنها وميعتها وشبابها تقول بل تزعم ان نفسها مليئة بالاصفرار ! وفيها وشاح الرماد !! وتقول بل تزعم :

« تمنيت الفناء . لم لا اضج . تمنيت الفناء . لم لا اتمرد ؟! »

كيف بالله توفق بين هذا الزعيق القانط في مثل هذه اللفحات، وبين ذلك الابتهال الحار الذي كأنما هو قبس من نفحات «طاغور» الندية المصفاة

ثم انا لو خيرت لحذفت غير آبه قصيدتي «الحادي الاكبر» و«العام الجديد» فالاولى بدأت بـ «أنا» غير مرة، وختمت «بجاو ومزمار» وبين ذلك لهاث لا تقيد شوارده . والثانية شطحات ليست بذات غناء.

ومن عجيب ما لاحظته ، تأثر الآنسة « بنشيد الانشاد » في « النشيد التائه » وغنوة « فالثنتان من معطيات الحواس وان كان في الاولى تكلف ومعاناة ، وكم كنت احب لو انتهت عند قرار « اخاف عليك من قبس يضني » فلا قيمة عندي لما تلاه . اذ ما جدوى الاستجداء النابت من خوف بعد تلك الضراعة الاليفة . غير ان ما فات الآنسة هنا لم يفتها في القصيدة الثانية التي انفلتت مع همسها الوديع من ربقة التقاليد فهتفت تدعو الاليف هتافها المنسجم الحنون .

وبقدر اعجابي بابتهال الآنسة الهامس ومناجاتها الرخيمة، لم استطع استساغة بعض تجاربها الاخرى لشرودها المرهق ونفسها المبهور واغراقها في التوهم . والدليل على ذلك لا يجهدني . اسمع الى قولها في « ايمان » :

« ناديتني . فسمعت نداك ، يا ليت وقراً اصابني »

« يا من سمعته ولم يسمعني ، تحت ظل وارف ناجيتني هناك »

« في المحراب يا الذي اضلني . لم اجدك . فأين انت »

فهل يجمل بالشاعر تمني الظلام ؟ والفرار من المعرفة مهما توعرت المسالك؟ بل هل يحسن به ان يفر من المجاهيل بدل ان يكون معنياً بتقييد اوابدها ؟ هل يجوز له ان يخشى المدى ليوصم بالضيق؟ اي ايمان هو ذاك ؟؟ . وكيف لم يسمعها وهو الذي يناجيها تحت وارف الظلال.

ثم كيف يستساغ مثل ندائها :

« يا انسان عيني . يا اشواك نفسي ! »

« انا اشعر بالاكوان . تفيق فيّ الافجار »

او مثل قولها : « تحت افنان وارفه . والهواء صموت خاشعه »

« رايته بين ملائكة السماء . يرفل بالدمقس والطيب

فتندو النجوم خلفه نواجا ! »

وهل نستطيع ان نتمحل لمثل هذه الصور تفسيراً صالحاً في ذوق او وعي او خيال ! ؟

ثم . انظر معي في ختام نشيد « النسيم التائه » حيث تقول :

« هناك ارى . بكل حاسة . . . جلال وروعة وخشوع . . . »

هل يصح ، بعد النغم الصافي ، المنبثق من اعماق الروح .. المتجرد من رهق المادة . المنطلق الى ما وراء الابعاد، هل يصح . كيف يصح ، ان تقف آنستنا العزيزة « لترى بكل حاسة »؟ هل يكون للحواس عمل في مثل تلك الدنى المسحورة ؟ والاحجى ان تكون .. رؤيا .. لا رؤية !

وهناك .. بعد ذلك .. نشاز في موضع او موضعين . أمثل له بختام نشيد « بوح » :

« احبك في الغيوم ، بعيداً بعيدا عني ، لاني ارى شبهاً بيني وبينك »

ان من مقومات الرمزية ، الايحاء بالنغم ، بالموسيقى، والسجعة الحلوة اذا واتت عن طواعية ، واهملها الشاعر ، عد ناشزاً . . وما ضر الآنسة لو قالت . « بينك وبيني » ليتسق اللحن وتستقيم النغمة. ثم كلمة « شبهاً » اليست مقحمة مقلقلة ؟ هل يناسبها السياق ؟ هل يشكلها المعنى ؟ أليس الغناء التام وهو المفروض هنا ، يمقت المشابهة والمقارنة والقياس ؟ كما قالت هي نفسها بعد قليل :

« انقذني الهي ، انا خيوط ملتوية على ذاتي »

« انفاسي جدل آلامي ، انا شوق لاقول : انت انا وانا انت »

اما قولها في « ظلم » :

« اتركوني . بلغت المجد . اتركوني . علوت المجد »

فهو ازدهاء مغرور ، اعيذها منه، وارجو لها ان تتسلح بالصبر الطويل . كما ارجو لها ، ان تفطن دون كبير عناء ، الى شوطها الواعد والى واجبات مهنتها الخطرة فتظل حريصة على استيعاب المدى ، واستذكار وحشة الطريق، وانا ضامن بأنها ستصل . فأن من تقول :

« رأيته دخاناً ، يلتوي على ذاته »

و« نداآت من ذاتي ، تنسج حولي ايحاءات »

و « اذاني في المحو . . . وفي الصحو »

و « كتبت اسمك في السماء . اتى الشتاء رافلاً . فذوبتك الغيوم . فغرتُ ثغري . علني احظى برشة من اسمك . ضحكت الارض مني «فانزويت» »

ان من تستطيع ان تهمس بمثل هذا الجلال .. والجمال .

ومن تستطيع ان تبدع مثل نشيد « بيني وبين البحر » فتضع في تلك الكلمات القليلة ، السر الاعظم ، سر وحدة الوجود ، لا في مجال المادة الصماء بل في مجال الحنين والاشواق .

اجل . ان من يقدر على هذا الغناء ، يملك الكثير الغالي .. ويملك ان يعطيه ، وهو مدعو ليخرج من حدود نفسه ، لا لخلاص نفسه فحسب ، بل لخلاص الآخرين .

جولة الأديب في شهر

يونسكو

بقلم ملكولم بنغي

رئيس تحرير « فري براس » اليومية الصادرة في ديترويت مشغن

•

عثرنا في جريدة فري براس اليومية التي تصدر في هذه الحاضرة على مقال لرئيس تحريرها ملكولم بنغي المعدود من ابرز صحافيي الولايات المتحدة والمعروف باسلوبه الجزل الرائع وبميله للنقد المجوني البريء. ننقله الى العربية حرفياً سائلين القراء الا يحسبوا ما ورد فيه من الاشواك الا على سبيل المداعبة البسيطة التي لا تؤذي – قال :

في كل مرة اقرأ هذه الاحرف التي تتركب منها لفظة —يونسكو— احسب احد شركات البسكويت قد شرعت في حملة واسعة النطاق لاعلان نوع جديد من منتوجاتها الفاخرة .

«نهضة العرب- اكثر قرائنا يعلمون ان نوعاً مشهورا من البسكويت معروف بلفظة نابسكو » .

او انهم صنعوا نوعاً جديداً من قطع الشكولات ستكون نجاة العالم بواسطته ، او انهم يذيعون لدواء جديد يشفي السعال . وقد تكون احدى شركات الزيت قد وضعت هذه اللفظة لتبشر العالم باكتشاف خطير يفيد في تزييت الآلات المختلفة ، بل تكون هذه اللفظة اسما لنوع جديد من الصابون ؟

ففي مثل هذه الحال يمكنني ان اتصور جماعة من اساطين الاعلان والتذييع يعنون بتفاصيل هذا الاعلان الى ساعة متأخرة من الليل .

يونسكو — حقاً هذه هي الكلمة . لقد عرفناها الآن . يونسكو . ولكن كيف نلفظها . علينا ان نعرف لونها الصحيح ولعل الموسيقي الشهير ليوبولد ستوكوسكي يضع لها علامات موسيقية . وقد تكون اسماً ملائماً لنوع من العلك او لمشدات نسائية .

ولكنك لا تجهل في كل حال ان هذه اللفظة الرائعة —يونسكو— لا يمكن ان تطلق على احدى المنتجات الهامة التي اشرنا اليها . لا . فانها فقط تمثل الاحرف الاولى من اسم الهيئة المعروفة باسم المنظمة الدولية للثقافة والعلم والتربية —

تتألف هذه الهيئة او الجمعية من سيدات وسادة يمثلون سائر شعوب العالم وهم يتعشقون الاقامة في النزل الفخمة وعقد المؤتمرات لاجل معرفة الشؤون التي يحاولون معرفتها .

لقد انقضى عليهم عدة سنوات وهم يجتمعون . وكلما اجتمعوا تعرض لهم مهمتهم الكبرى وهي معرفة الاسباب التي اجتمعوا لاجلها .

وكلما اضافوا جلسة الى اجتماعاتهم اصابهم دوران متعاظم . فيتعاظم عزمهم على الاكثار من الاجتماعات .

انها كعادة تناول الافيون . عليك ان تأخذ منه اكثر فاكثر لكي تصير معارفك اقل فاقل .

كان اجتماعهم قبل الاخير في بيروت . فاذا كنت اميركياً ، ودافع ضرائب غبيا ، عليك ان تقدم المال لدفع نفقات هذه الاجتماعات ، احسبك لا تعرف اين تقع بيروت . اما انا فقد بحثت عنها ، فوجدت انها مرفأ وعاصمة لبنان وهم يلفظون اسمها على وجهين بروت ، وبايروت . على انك كيف لفظتها تظل رائحتها كما هي .

اما كيف اصطفى رجال ونساء اليونسكو شواطيء المتوسط الشرقية لاجتماعهم قبل الاخير حيث يتناحر العرب واليهود او يهزون ايدي بعضهم بعضاً فلا ادري .

غير انه من المؤكد ان البعض منهم لم يتسن لهم من قبل زيارة الربوع اللبنانية فغنموا هذه السانحة لمشاهدتها خصوصاً وهم يعرفون ان دافعي الضرائب الاميركيين سيسدون النفقات في كل حال .

ولكن لنكن منصفين . اجل لن يدفع الاميركيون كل النفقات . فالاونسكو منظمة دولية ويجب على الجميع المساهمة فيها . فالحقيقة اذن هي ان الاميركيين يدفعون ٩٩،٨ بالمائة . والباقي لا يدفعه احد .

ثم يا لها من متعة ، سياحة صاعدة الى ظهر القضيب على علو عشرة آلاف قدم ، وتذوق الزيتون والتين اللذيذ الذي ينمو فوق اشجار رائعة المنظر .

ولا ينسون السيدة آن ماكورمك التي تطل من قبل جريدة نيويورك تيمس على عالم كله قساوة وخشونة وتكتب تلك المقالات اللطيفة العذبة واصفة فيها تلك الحال الهنيئة الجميلة التي سيصبح فيها العالم يوم يعود الناس الى تعقلهم . وغير ذلك ، ومتساءلة لماذا نحن مجتمعون الآن اهدافنا يحدق بها الابهام والغموض يوماً بعد يوم . فتدعونا دائماً الى درس هذا الامر ومساعدة وتوجيه الآخر . ولكن ما هو هذا الامر الآخر » .

لست اعلم كل التفاصيل عما جرى في اجتماع الاونسكو ولكن استناداً على معرفتي باعضائه السعداء اجرؤ على تقدير ما يلي :

لقد وضعوا قراراً يقضي بدرس الاشياء التي يتولون درسها . حقاً ان قرارات من هذا النوع شأنها ان توحد الشعوب وتجعلنا كلنا اخوة وابناء لاب واحد هو الله .

غير انه لا بد لي من الاعتراف بانهم انجزوا امراً واحداً بشكل حاسم فانهم بعد عراك شديد تناول الاعضاء في اثنائه كيات كبيرة من الاملاح المنبهة فصلوا الرئيس جوليان هكسلي عن الرئاسة وعن مرتبها البالغ الخمسة عشر الف دولار. ولكنه لم يستسلم الا بعد ان سجل قراره بصدد مشروع يريد تنفيذه في — فياز الند — وانا اراهن بانك لا تعرف اين تقع هذه البلاد ايضاً — وهذا المشروع يقضي بنشر العلوم بين الاهلين وبتلقينهم اصول الزراعة والطرائق الصحية وكيفية الغناء الجمهوري. وعلاوة عليه فقد وضع قراراً آخر حاداً للتحقيق في اسباب توتر العلاقات الدولية والتفاهم بين الشعوب .

ان جوليان هكسلي يعد في طليعة خطباء الدرجة الثانية الذين تتسابق الى دعوتهم الاندية النسائية . واذا انت شككت في مقدرته العلمية احالك على المرحوم جده .

وقد نصبوا خلفاً له شهماً مكسيكياً معدوداً من امهر لاعبي — الهدج — في بلاده .

على كل حال . لا تجزع يا قارئي فكلما تقدم سيخسم من ضريبة دخلك . هذا بعد ان تدفعها .

انها والحق يقال افضل قطعة بسكويت في السوق . او هي قطعة صابون . . ؟

« جريدة نهضة العرب الاميركية »

قلمي الذي حطمته

للدكتور نقولا فياض

من قصيدته الرائعة في تأبين المرحوم عمر الداعوق

•

ناجيت فيك تربحتي ... فشكت واعياني السهر
ما حيلة القلب الكسير ... وقبله القلم انكسر
قلمي الذي حطمته ... من بعد ما ذقت الامر
ورأيت اقدار الرجال ... تضيع في عهد اغر
ما قيمة الوطن المدل ... وفيه تنتحر الفكر
لولا هوى لبنان ، يطر ... بني وان شذ الوتر
لبلغت في الشكوى المدى ... حتى يقال فتى كفر
ماذا هناك ، فلا ارى ... الا ضمائر من مدر
والناس في سوق النفاق ... على وفاق في الضرر
بغض واطماع وتفرقة ... واشياء اخر
غيض الوفاء فلا غراس ... في الرياض ولا ثمر
وقست قلوب الناس حـ ... تى الجندل القاسي انفطر
كم من غني ماله ... كالغيم محبوس المطر
فكأنه بين القصور ... موسد طي الحفر

***

عفواً بني امي ففي ... كأسي الشراب حلا ومر
انا في الحياة اخو طريق ... عابر فيمن عبر
لم يبق لي من صحبة ... الايام الا ما ندر
لا شيء يربطني بها ... شتان صفو او كدر
حر من الرغبات والر ... هبات ، من خير وشر
لكنني ما زلت أطرب ... للحميد من السير
وارى الحقيقة ان تقال ... ولو بها النفس استعر

« جريدة بيروت »

طه حسين بك

•

طه

يشكو الناس للدكتور طه حسين همومهم وشجونهم كلما حزبهم خطب او دهمهم حادث ، فكتب منذ ايام يعرب لقارئيه عما يصل اليه في الاصباح والاماسي من كتب الشاكين والآلام المحزونين الذين شغلوه عن طعامه وشرابه، واستباحوا راحته وسكونه ولم اكن اعجب لما كتب الدكتور ، فقد كنت اعاين انسانيته الكبرى حين نزلت مصر وانست بلقائه . بلوته انسانياً كبيراً ، ولست انسى ما حييت دخول جمع من القوم عليه بين شيخ وكهل وبيد واحد منهم رقعة فيها قصة مشكلة يشكوها صاحبها للدكتور فطلب عميد الادب ان يقرأ عليه مساعده ما كتب في الرقعة وتسمعت اليها فاذا هي كلام لو سكب عليه الشعور لسان ادمعاً ، ولو بعثت فيه الانفاس، لكان زفيراً يحرق القرطاس وانتهى القارىء، وصمت الجمع ليسمعوا الحكم من فم الحكيم .

فقال الدكتور : — مظلوم ، انه مظلوم .

فابتهل الجمع بالدعاء الى الله لطه حسين .

وكنت اعلم وانا في مصر انه لو ملك الدكتور خزائن الارض لوزعها على الناس بالتساوي . كان يشعر بآلام المجتمع فصرخ اول

الصارخين يطلب العدالة الاجتماعية. وهب في وجهه ناس ممن نأموا بأعين ملؤها الهناءات على اكياس الذهب فأرادوا يسفهوا رأيه وينقضوا قوله فارتدوا عنه كما ارتد وعل نطح الصخرة .

لقد عرف الناس من طه حسين أدبه العظيم ، ومنطقه السليم ، وحسن محاضرته وحذق دروسه ، وروعة كتبه ، وصدق مواقفه في وجه الظلم . ثم عرفوا بعد كل شيء بلاءه ووفاءه. وقد عرفت فيمن عرف انسانيته فهو انساني في جبلته وخلقه، وفي فعله وقوله.

ولم يستطع طه حسين ان يعرب عن هذه الانسانية بالنثر ، فما اعرف له فصلاً ولا كتابا ، صور فيه حاله. ووصف نفسه هذه الكبيرة . ولو ان حظه في الادب جرى شعراً لقرأنا له القصيدة تلو القصيد في شجون هذه الانسانية وشؤونها .

وقد جاء عهد على وزارة المعارف المصرية فكان وزيرها احمد نجيب الهلالي باشا فادخل على التعليم من البناء والمعاونة ومن الغياث والمرحمة ما ينعم فيه الوف التلاميذ حتى اليوم من بحبوحة الفضل الذي منحهم اياه الهلالي باشا. حتى كان الامس وعهد لطه حسين بوزارة المعارف.

فقلت لقد قيض الله لمصر طه حسين ليتم بناء الهلالي العظيم بما اوتيه من السجاحة في الخلق والمرحمة للامة وبتلك الانسانية السمحاء التي تكمن فيه . غداً تتفيأ مصر بكبيرها وصغيرها ما يكون من عون طه حسين واخلاصه لامته التي محضها حبه .

ولقد كان يقول بينه وبين نفسه :

لو امكنني الدهر مما اشاء لخدمت مصر في سنة بما يكون في عصر . ولقد امكنه الدهر بالامس مما كان يشاء. ليضيف الى سجل فضله في الادب سجلا جديداً من انسانيته الكبيرة .

« جريدة البلد بدمشق » **زكي المحاسني**

كنوز في اعماق البحار

في اعماق البحار كنوزاً ثمينة من الذهب والفضة غير التي وجدت مع البحر عندما وجد. هي ما غاص في القيعان مع السفن الكثيره في مختلف العصور .

والذين يعرفون حكايات هذه الكنوز كثيرون ولكن المتهم بالكشف عنها والوصول اليها رجل واحد هو الرياضي الالماني هانس اودو فون شولز المقيم الآن في هوتال سان جورج في بروكلن . وهو يمشي في اروقة الهوتال يتحدث مع نفسه ومع اي شخص يصغي الى حديثه عن هذه الكنوز .

وهو ليس رجلاً مهووساً ولا من ذوي الاحلام المزيفة بل رجل مفكر يقول انه استنبط آلة يعتقد انها الوسيلة الوحيدة لاستخراج تلك الكنوز من قيعان البحار فان فيها اداة مجوفة كالجرس يمكن طرحها الى اي مسافة في البحر وفي هذه الاداة عين كهربائية ترى الى مسافة ٣٠٠ قدم في اية جهة وتنجذب الى اي معدن مصنوعة منه السفن او ضمن السفن وتمد منها آلة كالجرفة وتلتقط كومة من ستة اقدام وترفعها الى سطح البحر .

وفي الجرس محرك يولد القوة وآلة مصورة تحدث صوتاً يدفع الموج الى الهدف الذي يجب لقطه .

ويقول هذا الرياضي الالماني انه كان يعمل في اخراج اختراعه في مدينة هامبورغ ثم في المدينة المجاورة لها كوكسهافن وكاد يتممه فانتهت الحرب فتوقف : او اوقفه الانكليز وهو يرى ان القيام باكتشاف الكنوز المدفونة في البحار يحتاج الى امرين — الاول رخصة من حكومة الولايات المتحدة . والثاني مليون دولار . ثم الى سنتين يقضيها في الاستعداد.

اما الكنوز التي يحلم باستخراجها فهي كما يلي :

١ — مليون جنيه انكليزي و ١٠ ملايين ليرة هولندية ذهبية وفضية غرقت مع الدارعة الانكليزية لوتين في ساحل هولندا حوالي سنة ١٨٠٠

٢ — مليون بستوس ذهب غرقت مع دارعة اللواء في الاسطول الاسباني عند شاطىء سكوتلاندا في سنة ١٥٨٨ .

٣ — ما يوازي ١٤٠ مليون دولار من الذهب والفضة غرقت مع الدارعة « اوريان » الفرنسوية في مياه ابوقير المصرية .

٤ — ذهب لا تعرف قيمته غرق مع اسطول الملك الفارسي هاميلكار بين « جزر التيس » قبالة الساحل اليوناني حوالي السنة التي جرت فيها معركة المارازون وهي ٤٩٠ قبل المسيح وكان هذا الاسطول يسمى « الاسطول الذهبي » .

٥ — خمسة ملايين جنيه انكليزي يقول هذا الرياضي انها كانت في الباخرة تيتانك التي غرقت قبالة ساحل نيوفوندلاند .

٦ — مليون دولار ذهب كانت في الباخرة لوزيتانيا التي اغرقتها غواصة المانية في الحرب الاولى قبالة ارلندا .

ويقول — غير هازل ولا مازح — ان في امكانه اخراج هذه الكنوز وردها الى الدنيا اذا اعطي مليون دولار وليس المليون مبلغاً كبيراً بالنسبة الى تلك الكنوز. ولكن الناس الذين يشترون سمكاً في البحر قليلون مع ان السمك موجود وصيده سهل واقل منهم الذين يشترون ذهباً مدفوناً في قاع البحر .

جريدة « السمير » النيويوركية

أنباء العالم في شهر

٢٣ ديسمبر ١٩٤٩ — توقفت المفاوضات التجارية والمالية البريطانية المجرية .

٢٤ — الف الدكتور نـاظم القدسي الوزارة السورية .

٢٥ - قدم الدكتور القدسي استقالة وزارته .

٢٦ — قدم الرئيس هاشم الاتاسي استقالته الى المجلس التأسيسي السوري فرفضها .

٢٧ — احتفل رسمياً بنقل السيادة الى اندونيسيا .

٢٨ — الف خالد العظم الوزارة السورية .

— اعلن رئيس الحكومة اليوغسلافية ان البنك الدولي وافق على منح يوغسلافيا قرضاً جديدا بقيمة ٢٥ مليون دولار .

٢٩ — غادر مـالطة المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية في رحلتـه لحضور مؤتمر الوزراء لرابطة الشعوب البريطانية .

٣٠ — اصدرت الادارة الاميركية بياناً مشتركاً وقعه كل من الرئيس ترومان وشاه ايران تؤكد فيه الولايات المتحدة عزمها على مساعدة ايران عسكرياً لضمان سلامتها .

— اعلنت الهند اعترافها بالنظام الصيني الشيوعي

٣١ — ذكرت الاوساط العسكرية الفرنسية إن المحادثات الجارية الآن في واشنطن لعقد اتفاق ثنائي في نطاق حلف الاطلنتيك تسير سيرا حثيثاً نحو النجاح .

اول يناير ١٩٥٠ - سلمت روسيا مذكرة احتجاج الى فنلندا تشير الى موقف فنلندا من الاتحاد السوفياتي وتتهمها بخرق معاهدة الصداقة .

٢ يناير - تفيد انباء فينا ان المجر قـد عززت حرسها على الحدود اليوغسلافية .

٣ — اقرت اللجنة الشيوعية المركزية في يوغسلافيا ان تصبح اللغة الروسية لغة ثانوية بعد ان كانت تعتبر لغة رسمية .

٤ — ارسلت لندن الى واشنطن بمقترحاتها الخاصة حول ايجاد شركة تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا لانتاج السلاح الذري .

— فاز حزب الوفد المصري باكثرية المقاعد في الانتخابات التي جرت امس بمصر .

٥ — استقالت الوزارة اليونانية التي يرأسها السيد ديوميدس .

٦ — اعترفت بريطانيا بحكومة الصين الشيوعية

— الف السيد ثيوبكرتس الوزارة اليونانية .

٧ — وافق مجلس معاهدة شمال الاطلنتيك المنعقد في واشنطن على توصيات لجنته الدفاعية الخاصة بخطط الدفاع عن شمال الاطلنتيك .

٨ — اعلنت وزارة الخارجية البريطـانية ان حكومة الصين الشيوعية لم تعلن حتى الآن قبولها مذكرة الاعتراف البريطاني بها .

٩ — علم ان القنصلية البريطانية في تانسوي بالصين رجمت بالحجارة للمرة الثانية في يومين .

— ضربت سفن الحرب الصينية عند مصب اليانغ تسيه سفينة اميركية وناقلة بريطـانية جاءت لمساعدتها .

— اجتمع وزراء خـارجية الكومونولث البريطاني في قاعة مجلس الشيوخ السيلاني وتكلم السيد نويل بايكر فقال ان المؤتمر يجابه قضيتين هما تلافي نشوب حرب عالمية ثـالثة ورفع مستوى المعيشة في جنوب شرق آسيا .

١٠ — اعلن مليون وخمسماية الف عامل الاضراب في المراكز الشمالية في شمال ايطاليا .

١١ — طلب الشيوخ الجمهوريـون ان يدعى رؤساء القوات العسكرية الى الكونغرس للادلاء برأيهم في وقف تيار النفوذ الشيوعي بالشرق الاقصى .

١٢ — استقال حسين سري باشا رئيس الوزارة المصرية .

— الف مصطفى النحاس بـاشا الوزارة المصرية من اعضاء حزبه واسند وزارة المعارف الى الدكتور طه حسين بك .

— قدم السيد ديغـاسبيري رئيس الوزارة الايطالية استقالته .

١٣ — اعاد الاتحاد السوفياتي عقوبـة الاعدام للخونة ضـد بلادهم والذين يقومون باعمال تخريب ضد التطور الوطني .

— صرح المستر تشرشل قائلاً : انني عامل على استعادة الامبراطورية البريطانية اذا مـا اولاني الشعب الثقة في انتخابات ٢٣ فبراير .

١٤ — اذاعت نظارة الخارجية الاميركية ان الشيوعيين احتلوا القنصلية الاميركية في بكين وبانها استدعت كل الموظفين الاميركيين في الصين الشيوعية .

— رفض مجلس الامن الاقتراح السوفياتي القاضي بطرد البعثة الصينية الوطنية وعلى الاثر صرح المندوب السوفياتي ان بلاده لن تعترف بشرعية القرارات التي تتخذها المجلس .

١٦ — افتتح مجلس النواب المصري والقى النحاس باشا خطاب العرش وقد جاء فيه أن الحكومة ستعمل للجلاء العاجل وتحقيق وحدة وادي النيل وتجديد العناية بشؤون الجـامعة العربية ورفع الظلم عن فلسطين وتقوية الجيش .

١٧ — كذبت الخارجية الاميركية وجود اتفاق سري بين فرنسا وبريطانيا واميركا لفصل السار عن المانيا ومنحها نصف استقلال .

١٨ — اسفرت الانتخابات في فنلندا عن فوز المحافظين والاحرار يليهم الشيوعيون .

— رفضت الحكومة الرومانية المثول امام محكمة العدل الدولية للنظر في الدعوى التي اقامتها عليها الحكومة الاميركية بانها خرقت حقوق الانسان الاساسية .

١٩ — اصدرت الحكومة الاميركية بياناً جاء فيه انه نظرا لموقف الحكومة السوفياتية من معاهدة الصلح النمسوية يجري الآن النظر في الخطوة المناسبة التي يجب اتخاذها لاستعادة النمسا حريتها واستقلالها .

٢٠ — صرح ناظر الخارجية الاميركية بان اسبانيا تشكل جزءا من اوروبا الغربية ولا يجب ان تظل مفصولة عنها وبان اميركا اصبحت على استعداد لان تقترح وتوافق الامم المتحدة على انهاء مقاطعة سفراء الامم المتحدة للعاصمة الاسبانية

٢١ — دعت الحكومة المصرية جميع ممثليها الدبلوماسيين في الاقطار العربية الى الاجتماع للتشاور .

— منع حرس الحدود الروسي في برلين سيارات الشحن الكبيرة من مغادرة برلين او الدخول اليها .

٢٢ — استقبلت كبار الشخصيات السوفيتية الدكتور رشوان لاي وزير الخارجية الصينية الشيوعية عند وصوله الى محطة موسكو .

٢٣ — انتخب الدكتور راجندار براساد فيرات زعيم حزب الكونغرس الرئيس الاول للجمهورية الهندية .

٢٤ — بدأت المحادثات في القاهرة بين وزير الخارجية المصرية الدكتور محمد صلاح الدين وبين مزاحم الباجه جي نائب رئيس الوزارة العراقية ونجيب الراوي وزير المعارف .